كيف تفوز بالشفاعة في الآخرة؟

كيف تفوز
بالشفاعة في الآخرة؟

تأليف

فضيلة الدكتور

محمد بن إبراهيم النعيم

رحمه الله تعالى

دار الأمل
للطبع والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله اللطيف الخبير، وَسِعَتْ رحمتُه كلَّ شيء، وعمَّ فضلُه كلَّ حيّ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الشافع المُشفَّع، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فإنَّ من يعرف فضيلة الشيخ: محمد بن إبراهيم النعيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ويطلع على مؤلفاته ويستمع إلى محاضراته وخطبه، يدرك جيدًا تلك العلاقة الوثيقة بين بنائه الإيماني العميق، وقلمه وفِكره النيِّرين، وسيتبيَّن له بوضوح كيف كان حريصًا على غرس الإيمان في القلوب، والأخذ بأيدي الناس إلى بر الأمان من عذاب الآخرة، والرقي بهم في درجات الجنة.

وإنني لا زلتُ أتذكر تلك الرحلة الإيمانية التي شرفتُ بصحبته فيها؛ حيث كانت له ولي مشاركة بإلقاء محاضرتين في محافظة أملج في شمال غرب مملكتنا الكريمة، ومع أن الرحلة لم تتجاوز اليومين فقط إلا أني تلقيتُ فيها دروسًا إيمانية من هذا الشيخ الجليل.

ولقد كان يحدثني فيها عن تقريب العمل الصالح للناس، ودلالتهم عليه، وتشجيعهم نحو العمل بالسُنَّة، وكان يتبنَّى فكرة ذِكْرِ العمل الصالح مشفوعًا بما ورد له من ثمرةٍ ثابتة في الكتاب أو في السنَّة؛ وأنَّ ذِكْرَ الثمرة له أثره البالغ في تحفيز النفس نحو العمل بما يحب الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخصوصًا أن الله

تعالى فطر الناس على الفطرة السليمة وهي: التوحيد، فما بقي إلا جهد النصوح، الذي يسير على منهج الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

ولم ينطلق الشيخ محمد النعيم رَحِمَهُ اللَّهُ في ميدان الدعوة بهذا الأسلوب الأمثل إلا بعد ما تمثَّله في حياته ـ نحسبه والله حسيبه ولا نزكيه على الله تعالى ـ فإن من يصحبه يعرف فيه حبَّه لتطبيق الهدي النبوي الكريم في قوله وفعله ودعوته رَحِمَهُ اللَّهُ.

وسبحان الله، كيف توافقت لدى الشيخ أمور كثيرة، كلها تشهد بحبه الخير للناس، وبشفقته عليهم، وبغيرته على حرمات الله تعالى: نبرة صوته المعهودة في تلاوة القرآن الكريم، وأسلوبه الشفوق في الكتابة، وطرحه النصوح في الخطابة، وبكاؤه الذي يفاجئك عند آيات الترهيب والترغيب والتعظيم، مما جعل فَقْدَه أليمًا على نفوس أحبابه، والمستفيدين من علمه ودعوته.

وأجدد الحمد والثناء لله تعالى أن خصني أن أراجع مؤلفه هذا: (كيف تفوز بالشفاعة في الآخرة) مراجعة شرعيَّة؛ لأرد له شيئًا يسيرًا من معروفه عليَّ أن أفدت من علمه وتوجيهه، ثم الشكر موصول للجنة إحياء تراث الشيخ في الأسرة المعطاء: أسرة آل نعيم بالأحساء، برئاسة أخي الحبيب فضيلة الشيخ: عبدالمحسن بن عبدالرحمن النعيم وفقهم الله تعالى ونفع بجهدهم وعطائهم، فقد أخذوا على أنفسهم عهدًا بإخراج كل ما لدى الشيخ من نتاجٍ علمي ودعوي، بعد مراجعته وتدقيقه، ومن ثمَّ طباعته ونشره، حتى رأينا البركة من

الله تعالى في إقبال الناس عامتهم وخاصتهم على هذا العلم النافع، فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

أما هذا الكتاب، فقد حرص الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على جمع مادته العلمية من مصادرها الأصيلة، ثم صياغتها صياغة تميزها عن غيرها مما كتب في هذا الموضوع؛ إذ جاءت سياقاتها سياقات تربوية سلسة مؤثرة، وبعبارات قريبة لفهم كل من يقرأها، وإنها لترغِّب في العمل الصالح الذي دلَّ عليه الحبيب صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليكون سببًا لنيل الشفاعة في الآخرة، مقتصرًا في الاستدلال على كتاب الله تعالى، وما صحَّ من حديث رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفهم السلف الصالح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، موردًا بعض الإشكالات التي استشكلها العلماء، ومبينًا أقوالهم فيها بشيء من الاختصار، دون تشقيق ولا تعقيد، موضحًا رأيه فيها، ومعللًا اختياره له بما يظهر له من أدلة، مستفيدًا من كل موضع لتزكية النفوس وتذكيرها بما ينجيها.

ولقد لفت نظري أنه يذكر بعض المعلومات المشتهرة عند الناس عن الشفاعة، ثم يوجز في ذكر ما لم يصح منها، ويفصِّل فيما صحَّ؛ حرصًا منه على تعبُّدِ الناس بالصحيح فحسب.

وإن من جميل أسلوب الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه يركِّز في عبارته حتى لا يُشِتَّ ذهنَ القارئ عن الهدف الذي رسمه لكتابه، وحتى لا يطول الكتاب، وهذا شأنه في مؤلفاته كلها، مما جعل فرصة قراءتها أكبر بين الناس.

وقد كان تدخلي يسيرًا في بعض العبارات، من حيث: الإضافة أو الاختصار، بهدف إخراج كلام المؤلف كما أراده حسب ما ظهر لي، وذلك في مواضع قليلة جدًا.

وتظل أراء المؤلف تمثله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولا تمثِّل من قدَّم الكتاب أو راجعه.

وقد اختار الشيخ لهذا الكتاب: موضوع الشفاعة، وهو موضوع عظيم، كيف لا، وهو السبيل ـ بعد رحمة الله ولطفه ـ في الآخرة للنجاة من النار ولهيبها، والفوز بالجنة ونعيمها، فهل يمكن أن يفوِّت عاقل على نفسه معرفة ما ينجيه وما يسعده!!

لقد شدني ـ وأنا أراجع هذا الكتاب ـ ما ساقه الشيخ هنا من آيات كريمة، وأحاديث عظيمة تحكي ذلك الموقف المهيب الذي سيكون المرء فيه أحوج ما يكون لقبول الله تعالى لشفاعة الشافعين، أو عملٍ صالحٍ أخلص فيه لربه، واتبع فيه هدي حبيبه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأدركتْه مع هذا كلِّه رحمةُ الله به، فنجا من عذابه، وفاز بجنته، فما أعظم هذا الفوز، وإنه والله هو الفوز العظيم.

قال سبحانه: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾[النجم:٢٦].

أيها القارئ الكريم: في هذا الكتاب الرائع ستجد بغيتك في الدلالة على الأعمال الصالحة التي ستفوز بها ـ بإذن الكريم سبحانه ـ بالشفاعة في ذلك اليوم الجلل، فهذه صفحاته بين يديك، قد بذل في تسطيرها الشيخ المفضال د/ محمد بن إبراهيم النعيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقتًا ثمينًا، وعلمًا غزيرًا؛ لتفرح بالثمرات،

وتفوز بالجنات، فلا تفرط في قراءة أسطره، ولا تسوف في العمل الصالح الذي يسعدك بشفاعة خير الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاليوم عمل، وغدًا جزاء، والمؤمن يبادر ولا يؤخِر، فلربما فزت من هذا الكتاب بعمل صالح، كانت به النجاة بعد الله الرؤوف الرحيم.

وجزى الله مؤلف هذا الكتاب عنَّا خير الجزاء، ورفع درجته في جنانه، وبارك في عقبه وعلمه، ورحمه رحمة واسعة، وغفر له، ورضي عنه وأرضاه.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له**» [رواه مسلم].

فاللهم اجعل هذا الكتاب من العلم النافع الذي يصل أجره إلى مؤلفه، وانفعنا به، إنك سميع مجيب.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه راجي عفو ربه

أ.د/ فيصل بن سعود الحليبي

١٨/ ٥/ ١٤٤٢هـ

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد: فقد عشت في أجواء هذا الموضوع الإيماني – الشفاعة – أياما امتدت إلى شهور عديدة وأنا في روحانيةً، تمنيت فيها ألا أنتهي من البحث والتنقيب عن أحاديث الشفاعة لعنصرة الموضوع والكتابة فيه، وقد قرأت أحاديث الشفاعة وشروح العلماء عليها عشرات المرات، حتى عشت بروحي وخيالي عالم الآخرة، واستوقفني كثيرا الصراط ومرور الناس عليه وهم في ظلام دامس ليس ثَمَّ نورٌ إلا نور أعمالهم الذي يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، وجهنم أسفل منهم على عمق سبعين خريفا، تخلع بمنظرها المرعب القلوب، وقفت طويلا متأملا ذلك الموقف الإيماني الذي سيقفه المؤمنون الناجون من الصراط، وهم يطلبون من الله جَلَّوَعَلَا بإلحاح شديد: الشفاعة لإخوانهم الذين سقطوا في النار، وحاولت أنْ أتصور شعورهم ووجدانهم وهم يُنقذون مَنْ عرفوا من المؤمنين، إنه لموقف لو استشعرناه حقيقة، لكفانا جرعات مُركَّزة في معنى الأخوة التي ننشدها، والتي بها تُحل معظم مشكلات العالم الإسلامي المعضلة، إنه منظر آمن به قلبي وعجز أنْ يعبر عنه قلمي، فأدعه للقارئ الكريم كي يعيش في أجوائه قدر إيمانه ويقينه.

وعجبت من كثر أهوال يوم القيامة وشدة كربه وغفلتنا عن هذه العظائم، ثم أدركت يقينا أهمية الشفاعة وعظم نفعها لهذه الأمة المباركة، ومن ثَم ضرورة المسارعة إلى الأعمال التي توجب هذه الشفاعة لعلنا أن ننقذ أنفسنا ونخفف من لوعاتنا في ذلك اليوم المهيب.

واستوقفتني عظمة شفاعات النبي ﷺ لأمته في مختلف أحوالهم، حيث لم يتوان ﷺ عن الشفاعة لأناس استوجبوا النار، ولآخرين دخلوا النار فيخرجهم، ولأناس دخلوا الجنة فيشفع في رفع درجاتهم، وغيرهم كثير، فهو حريص علينا رءوف رحيم بنا في الدنيا وفي الآخرة، ومع ذلك تنكب جملة من الناس عن سنته، وخالفوا أمره، ولمزوا أتباعه، فبأي وجه سيلاقونه ﷺ وهو الذي سيشفع لهم يوم القيامة؛ لإخراجهم من كُرَب ستشيب منها الولدان، ويكرر فيها القول لربه الرحمن: **أمتي أمتي؟**

واستوقفتني شفاعة أطفال المسلمين ولقاؤهم بوالديهم، فكم هي فرحة تلك الوالدة وذلك الوالد حينما يرى طفله الذي دفنه بيده، لم يتغير سنه، ولم يتبدل شكله، ماثل أمامه بشحمه ولحمه، يقف له عند باب الجنة، ويأبى دخولها إلا مع والديه، حقًا إنه يوم عظيم.

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

كان هناك عدة أسباب تدافعت في مخيلتي وجعلتني أُعنى بالكتابة في موضوع الشفاعة، ومن أهمها ما يلي:

أولًا: يحرص الناس على الفوز بشفاعة رسول الله ﷺ فيلجأ بعضهم إلى الاستغاثة به والغلو فيه والتوسل به ودعائه من دون الله تعالى، سواء في بلدهم

الذي يعيشون فيه أو عند زيارتهم قبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فترى أحدهم ينادي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقول: يا رسول الله، اشفع لنا، أو يقول: يا رسول الله، الشفاعة الشفاعة، وما شابه ذلك من عبارات تهوي بصاحبها في أودية الشرك على رأي كثير من أهل العلم والتحقيق.

كما يتكرر مثل ذلك من بعض العوام من الناس عند قبور بعض الصالحين أو الأولياء المزعومين، فيستغيثون بهم بحجة الطمع في شفاعتهم يوم القيامة، في حين أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد دلنا على السبل المشروعة لنيل الشفاعة كما سنرى ذلك جَليًّا ضمن فقرات هذا الكتاب وفصوله إنْ شاء الله[١].

ثانيًا: إنَّ بعض الناس اتخذوا أحاديث الشفاعة فرصة للتكاسل والتقاعس عن العمل الصالح، فتكاسلوا عن طاعة الله تعالى، وبَنَوْا تصورات خاطئة من سماع أحاديث الشفاعة الكبرى التي ستكون لنبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة، فاتكلوا عليها، وفتروا عن المسارعة إلى الخيرات بسبب سوء فهمهم لها، فتشبهوا بذلك بالنصارى في اتكالهم على أنَّ الله جَلَّ وَعَلَا على حد زعمهم الباطل ـ صلب

(١) قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١/ ٢٤١): «إنَّ طلب شفاعته ودعائه واستغفاره بعد موته ليس مشروعا عند أحد من أئمة المسلمين، ولا ذكر هذا أحد من الأئمة الأربعة وأصحابهم القدماء، وإنما ذكر هذا بعض المتأخرين: ذكروا حكاية عن العتبي أنَّه رأى أعرابيا أتى قبره وقرأ هذه الآية - قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ [النساء: ٦٤] - وأنَّه رأى في المنام أنَّ الله غفر له، وهذا لم يذكره أحد من المجتهدين من أهل المذاهب المتبوعين الذين يُفتى الناس بأقوالهم، ومن ذكرها لم يذكر عليها دليلا شرعيا، ومعلوم أنَّه لو كان طلب دعائه وشفاعته واستغفاره عند قبره مشروعا لكان الصحابة والتابعون لهم بإحسان أعلم بذلك وأسبق إليه من غيرهم، ولكان أئمة المسلمين يذكرون ذلك، وما أحسن ما قال مالك: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها» اهـ.

ابنه عيسى ابن مريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا - لتكفير خطايا بني آدم، وأنه يكفيهم من دينهم الإيمان بعقيدة صلب المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ!

ولقد سمعنا من أهل الإسلام من يقول: لِمَ الخوف؟ فإنَّ أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمة مرحومة وهي خير أمة أخرجت للناس، وهي إلى خير؛ لأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ادّخر لها الشفاعة يوم القيامة، وهي ستكون لكل مُوحّد، ولن يخلد في النار إلا الذين كفروا، وهذا الكلام وإن كان حقًا إلا أنه لا يفهم منه الدعوة إلى الغفلة عن طاعة الله تعالى، أو الاستجابة إلى تزيّين الشيطان للمنكر، وترك صالح الأعمال التي شرعت لتهذب أخلاقهم، ولترفع في الجنان درجاتهم، ولذا تراهم ينغمسون في الشهوات مؤمِّلين نجاتهم بالشفاعة، وبهذا جعلوا أحاديث الشفاعة حجة للتكاسل والتقاعس عن عمل الصالحات والاستعداد ليوم الكربات.

فمن الناس من فهم من قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث القدسي: «**إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك**» - أي ولا نحزنك -[1] أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لن يرضيه إلا دخول جميع أمته الجنة، وعدم دخولهم النار البتّه إلا تحلة القسم! أقول: وإن كان هذا الحديث من أرجى الأحاديث لهذه الأمة، إلا

(١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلا قول الله عَزَّوَجَلَّ في إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾ الآية [إبراهيم: ٣٦]، وقال عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]. فرفع يديه وقال: «**اللهم أمتي أمتي**» وبكى، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: «**يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله: ما يبكيك؟**» فأتاه جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فسأله، فأخبره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما قال وهو أعلم، فقال الله: «**يا جبريل: اذهب إلى محمد فقل: إنّا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك**» [رواه مسلم (٢٠٢) في الإيمان: باب دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته وبكائه وشفقته عليهم].

أنَّ هؤلاء نسوا ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يدخل من أهل القبلة النار من لا يحصي عددهم إلا الله ما عصوا الله واجترأوا على معصيته وخالفوا طاعته، فيؤذن في الشفاعة، فأُثني على الله ساجدا، كما أُثني عليه قائما، فيقال لي ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تُشَفَّع**»[(١)]، لذا فإن الله عَزَّوَجَلَّ سيرضي نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنواع الشفاعات يوم القيامة، وليس في عدم دخول العصاة النار، فتنبه لذلك.

ثالثًا: أنَّ هناك صنف آخر من الناس، حرص على نيل شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكنه عمل بأحاديث مكذوبة أو غير صحيحة في نيل الشفاعة،

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وابن حجر في الفتح (١١/ ٤٦٣) وحسَّنه، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٧٦)، والهيتمي في الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/ ٤١٢)، وهناك العديد من الأحاديث التي تشير إلى دخول العصاة من أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النار بسبب جرائمهم، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدثني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أن الله تعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية، فأول من يَدعو به رجل جمع القرآن، ورجلٌ قتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت بما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله له: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله له: بل أردت أن يقال: فلان قارئ، فقد قيل ذلك. ويؤتى بصاحب المال، فيقول الله: ألم أُوَسِّع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق، فيقول الله له: كذبت، وتقول الملائكة له: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال فلان جواد وقد قيل ذلك، ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله، فيقول الله له: فبماذا قتلت؟ فيقول: أَمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قُتلت، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جريء، فقد قيل ذلك**» ثم ضرب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ركبتي فقال: «**يا أبا هريرة: أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة**» [رواه مسلم (١٩٠٥) في الإمارة: باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، والترمذي واللفظ له (٢٤٨٩) في الزهد: باب ما جاء في الرياء والسمعة].
للاستزادة انظر الأحاديث الموجودة في مبحث أنواع شفاعات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كمن يشد الرحال لزيارة ذات قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استنادا إلى أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**»[(١)]. فلا بد من التنبه من تلك الأحاديث المكذوبة، أو التي لم تصح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاقتصار على الأحاديث الصحيحة التي أقرَّها علماء الجرح والتعديل المعتبرين؛ إذ أننا مُتعبدون بالعمل بما صَحَّ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دون ما لم يصح.

روى ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قرأ حديثا رواه ابن السُّنِّي عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ و ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ إلى قوله: ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ مشفّعات، ما بينهن وبين الله حجاب، فلما أراد الله أنْ ينزلهن تعلقن بالعرش وقلن: يا رب تهبطنا إلى الأرض وإلى من يعصيك؟ فقال**

---

(١) رواه البزار عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقال ابن حجر في تلخيص الحبير (٢/ ٢٦٧): «طرق هذا الحديث كلها ضعيفة». اهـ، وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٠): «رواه الدارقطني والبزار في مسنده ومداره على عبد الله بن محمد العمري وهو ضعيف»، وقال في موضع آخر (٢٧/ ٢١٩): «قال النواوي: أما حديث ابن عمر فرواه أبو بكر الرازي والدارقطني والبيهقي بإسنادين ضعيفين جدا اهـ، كما قال ابن تيمية في موضع آخر: وأحاديث زيارة قبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلها ضعيفة ولا يعتمد على شيء فيها في الدين، ولهذا لم يرو أهل الصحاح والسنن شيئا منها، وإنما يرويها من يروي الضعاف كالدارقطني والبزار وغيرهما». اهـ [قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (صفحة ٥٧)، واقتضاء الصراط المستقيم (صفحة ٤٠١)]، وقال العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٢٨): «رواه أبو الشيخ وابن أبي الدنيا وغيرهما عن ابن عمر وهو في صحيح ابن خزيمة وأشار إلى تضعيفه، وعند أبي الشيخ والطبري وابن عدي والدارقطني والبيهقي ولفظهم: «كان كمن زارني في حياتي» وضعفه البيهقي، وقال الذهبي طرقه كلها لينة ولكن يتقوى بعضها ببعض». اهـ، وضعفه السيوطي في الجامع الصغير (٨٧١٦) والمناوي في فيض القدير (٦/ ١٤٠)، وقال الألباني في ضعيف الجامع الصغير (٥٦١٨): «موضوع، وقال الوادعي في كتاب الشفاعة (صفحة ٢٤٢) منكر».

الله عَزَّوَجَلَّ: **حلفت لا يقرؤكن أحد من عبادي دبر كل صلاة، إلا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه، وإلا أسكنته حظيرة القدس، وإلا نظرت إليه بعيني المكنونة كل يوم سبعين نظرة، وإلا قضيت له كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة، وإلا أعذته من كل عدو ونصرته منه، ولا يمنعه من دخول الجنة إلا الموت»**. فقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد كنت سمعت هذا الحديث في زمن الصبا فاستعملته نحوًا من ثلاثين سنة لحسن الظن بالرواة، فلما علمت أنه موضوع تركته، فقال قائل أليس هو استعمال خير؟ قلت: استعمال الخير ينبغي أنْ يكون مشروعا، فإذا علمنا أنه كذب خرج عن المشروعية»اهـ(١).

فرغبةً مني في مشاركة العلماء في نشر ما صح عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنيل الشفاعة يوم القيامة كان هذا الكتاب الذي بين يديك.

رابعًا: يحرص كثير من الناس على توطيد العلاقة مع أكبر عدد ممكن من الأصدقاء والوجهاء، لينتفعوا بوجاهتهم ومناصبهم في تسهيل أمرهم إذا ألجأتهم الحاجة إلى دائرة حكومية أو غيرها، ألا ينبغي أنْ يكون الحرص على التعرف على الشفعاء الذين سيكون لهم وجاهة في الآخرة، ليشفعوا في أصعب وأخطر المواقف التي ستمر على البشرية جمعاء؟ فإن الشفعاء يوم القيامة كُثُر فلا بد من التعرف عليهم، ولا أقصد أنْ نسألهم الشفاعة، وإنما أنْ نستنَّ بما جاءنا به شرعنا الحنيف من أعمال كي يأذن الله لأولئك الشفعاء أنْ يشفعوا لنا إنْ شاء الله تعالى، إذ أنَّ الشفاعة مُلكٌ لله عَزَّوَجَلَّ، ولا تُسأل إلا منه جَلَّوَعَلَا، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٤٤].

(١) كتاب الشفاعة لمقبل الوادعي (صفحة ٢١٩).

خامسًا: أنني رأيت كثيرا ممن كتب في موضوع الشفاعة قد سرد معظم أحاديث الشفاعة دون تصنيف تربوي[١]، فكان المراد أنْ أُخرِجَ من أحاديث الشفاعة موضوعات تربوية عملية، تحثنا على تزكية النفوس وإصلاح الأخلاق، ومن ثَم ندرك مفهوم الشفاعة الواسع، وأنها مدرسة متعددة التخصصات في مجال العمل الصالح المثمر، وليس كما يفهمه أو يتوقعه بعضنا ممن قرأ أحاديث الشفاعة من كتب العقيدة، فاقتصر فهمه على أنَّ الشفاعة أمر غيبي تقرأ للعلم والإيمان بها فحسب ولا تبذل الأسباب لنيلها، وإنك ترى بعض الوعاظ وخطباء المساجد يذكرون حديث الشفاعة الكبرى بطوله، وقد يتأثرون منه ويَبكون، ويبُكون الناس معهم، ولكن في نهاية المطاف يخرج الناس في الغالب من المسجد دون فائدة عملية ترجى، لذلك فإن هذا الكتاب محاولة جادة، لتحويل موضوع الشفاعة، من قضية إيمانية ذهنية راسخة في الذهن، إلى سلوك نمارسه عمليا، كما كان يمارسه صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

سادسًا: أنَّ كثيرا من الناس قد يتمنّون الفوز بالشفاعة يوم القيامة، ولكنهم في الغالب لا يعرفون أنواع الشفاعات، سوى شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكبرى التي ستكون لجميع الخلق مسلمهم وكافرهم، فأردت ذكر هذه الشفاعات لندرك أهميتها، ونبذل أسبابها، ونلح في طلبها من الله عَزَّوَجَلَّ، بصدق وحرقة قلب، وبعمل صالح خالص كما كان سلفنا الصالح يفعلون.

سابعًا: أنَّ بعض الناس ظن أنَّ طلب الشفاعة، يقتصر على سؤال الله لها بالدعاء فحسب، دون بذل أسباب ذلك من أعمال صالحة أشار إليها النبي

(١) انظر: قائمة المراجع في آخر الكتاب.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهذا فإن هذا الكتاب يأخذ الجانب العملي والتطبيقي، ومن كان معتادا على فعل تلك السنن والآداب قبل الاطلاع على هذا الكتاب وجاهلا ثوابها، فعليه أنْ يحتسبها عند القيام بها بنية نيل الشفاعة، سائلا المولى الكريم أنْ لا يحرمنا وإياكم منها.

ثامنًا: أنَّ بعضنا قد يُحرم من الشفاعة يوم القيامة من حيث لا يدري، بسبب ذنوب يرتكبها، فلذلك أحببت أنْ أشير إلى ذلك لنحذر جميعا من موانع الشفاعة.

تاسعًا: أنَّ المرء بمعرفته جوانب الموضوع، سيزداد حبا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي لا يفتأ عن الشفاعة لهذا الأمة في كل مقام سيقفه يوم القيامة، كما أنه سيزداد تعلقا واحتسابا بالأعمال التي خُصَّ ثوابها بالفوز بأحد شفاعات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو شفاعات غيره، بعد أنْ كان يقرؤها ويمر عليها دون تدبر.

عاشرًا: أنَّ كثيرا من الناس يجهلون أهمية الشفاعة، فلا يسألونها الله باستمرار، ولا يعملون بأسبابها، لأنهم في الغالب لم يحيطوا بأهميتها، فأحببت بهذا التصنيف التربوي أنْ أضع الموضوع في أهميته التي تليق به قدر المستطاع -بتعبيري القاصر- لعلنا نستيقظ من غفلتنا، ونستعد لآخرتنا، فنكثر من الأعمال التي تُقربنا إلى رحمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

الحادي عشر: أنَّ موضوع الشفاعة والحرص على نيلها، يستجر القارئ إلى أنْ يعيش هَمَّ الآخرة، ومن ثَمَّ يدرك أهمية الحصول على الشفاعة؛ لينجو من عقاب الله جَلَّ وَعَلَا؛ إذ يلاحظ أنَّ من الناس مَن لا يكثر سؤال الله الشفاعة، في

حين أنَّ كثيرا مِمن هم خير منا، وهم صحابة رسول الله ﷺ عندما سمعوا بأهوال يوم القيامة ودور شفاعات النبي ﷺ في ذلك اليوم العصيب، أكثروا من سؤالهم لرسول الله ﷺ الشفاعة، فأين حرصنا وهمنا تجاه يوم القيامة؟ وأين استعدادنا ليوم الرحيل لمواجهة كروب ستشيب منها الولدان، وتنخلع منها الأفئدة؟

روى أنس بن مالك رضي الله عنه حديثا ينبئ عن حرصه رضي الله عنه على نيل شفاعة النبي ﷺ فقال: سألت النبي ﷺ أنْ يشفع لي يوم القيامة، فقال: «**أنا فاعل**»، قلت: يا رسول الله فأين أطلبك؟ قال: «**اطلبني أول ما تطلبني على الصراط**»، قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: «**فاطلبني عند الميزان**»، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «**فاطلبني عند الحوض، فإني لا أُخطئ هذه الثلاث المواطن**»[(١)].

(١) رواه أحمد (٢٤/ ١٣٢) -الفتح الرباني- باب في الشفاعة للمذنبين يوم القيامة: الفصل الخامس طلب بعض أصحاب النبي ﷺ شفاعته لهم، والترمذي واللفظ له (٢٥٥٠) في أبواب صفة القيامة: باب ما جاء في شأن الصراط، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم (١٩٨١).
ولعل سائلا يقول: كيف نوفق بين هذا الحديث وبين قول عائشة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال: «**في ثلاث مواطن لا يذكر أحدٌ أحدا: حيث يوضع الميزان حتى يعلم يثقل ميزانه أو يخف، وحيث تتطاير الكتب حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أو شماله أو من وراء ظهره، وحيث يوضع الصراط حتى يعلم ينجو أو لا**» [رواه أحمد -الفتح الرباني- (٢٤/ ١٤٤) في قيام الساعة والنفخ في الصور والبعث والنشور، باب في تناول الصحف والميزان، والحاكم (٥٧٨/ ٤)، وضعفه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٥٤٣)].
أجاب الطيبي عن هذا الإشكال قائلا: «جوابه لعائشة رضي الله عنها بذلك؛ لئلا تتكل على كونها حرم رسول الله ﷺ ولأبي هريرة [قلت: لعله لأنس وليس لأبي هريرة كما في مرقاة المفاتيح (٩/ ٥٥٩)] لئلا ييأس» اهـ [الكاشف عن السنن للطيبي (١٠/ ٢٢٢)].

خطة الكتاب:

يتكون هذا الكتاب من مقدمة وبابين:

- **فأما المقدمة: فذكرت فيها أسباب اختيار الموضوع.**

- **وأما الباب الأول: فيتضمن شفاعات النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- **وأما الباب الثاني: فعن الشفعاء غير النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ويتألف الباب الأول من أربعة فصول هي كالتالي:

- **الفصل الأول: ويتألف من ثلاثة مباحث:**

- المبحث الأول: في تعريف الشفاعة لغة واصطلاحا.

- المبحث الثاني: في شروط الشفاعة.

- والمبحث الثالث: في موانع الشفاعة.

- **وأما الفصل الثاني: فيتحدث عن أنواع شفاعات نبيّنا محمد** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **، وذلك في ثلاثة مباحث:**

- المبحث الأول: أنواع شفاعات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي في مطلبين:

- المطلب الأول: الشفاعات التي يختص بها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا تكون لغيره.

- والمطلب الثاني: الشفاعات التي لا ينفرد بها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- وأما المبحث الثاني: هل من كراهة في سؤال الله شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

- وأما المبحث الثالث: لمن ستكون شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

- **وأما الفصل الثالث: فيتحدث عن الأمور التي ينال بها المسلم على شفاعة النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وفيه ثلاثة مباحث:**

- المبحث الأول: في المُشَفِّعَات القولية.
- والمبحث الثاني: في المُشَفِّعَات الفعلية.
- والمبحث الثالث: في المُشَفِّعَات المكانية.

- **وأما الفصل الرابع: فيتحدث عن المحرومين من شفاعة المصطفى** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وذلك في مبحثين:**

- المبحث الأول: المحرومون من شفاعة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- والمبحث الثاني: عن بعض الذنوب التي ظاهرها حرمان أصحابها من شفاعة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأما الباب الثاني: فهو يستعرض الشفعاء سوى المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ويتكون من ثلاثة مباحث:**

- المبحث الأول: هل للملائكة شفاعة؟
- والمبحث الثاني: من الذي سيكرم بالشفاعة من الناس؟
- والمبحث الثالث: هل هناك أعمال تشفع لأصحابها؟

ثم ختم الكتاب بخلاصة.

منهج الاستدلال بالأحاديث:

حرصت على الاستدلال بالأحاديث الصحيحة والحسنة فقط، معتمدًا في ذلك على تخريج ابن حجر والسيوطي والمناوي والأرناؤوط والوادعي والألباني رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

البَابُ الأَوَّلُ

شفاعات النبي ﷺ

الفَصْلُ الأَوَّلُ

- المبحث الأول: تعريف الشَّفَاعَة.
- المبحث الثاني: شروط الشَّفَاعَة.
- المبحث الثالث: موانع الشَّفَاعَة.

المبحث الأول

تعريف الشفاعة

الشفاعة لغةً:

قال ابن فارس: شَفَعَ: الشين والفاء والعين أصلٌ صحيح يدل على مقارنة الشيئين، ومن ذلك الشفع خلاف الوتر، تقول كان فردا فشفعته، قال الله جَلَّ ثناؤه: ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾[الفجر: ٣] قال أهل التفسير: الوتر الله تعالى، والشفع الخلق، وشفع فلان لفلانٍ؛ إذا جاء ثانيهُ ملتمسا مطلبه ومعينا له(١).

وقال الأصبهاني: الشفاعة: الانضمام إلى آخر ناصرا له وسائلا عنه، وأكثرُ ما يستعملُ في انضمام من هو أعلى حُرمةً ومرتبة إلى من هو أدنى، ومنه الشفاعة في القيامة قال: ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾ [مريم: ٨٧]، ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾ [طه: ١٠٩]، ﴿لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ [النجم: ٢٦]، ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، أي: لا يَشفعُ لهم، ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، ﴿مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ﴾ [غافر: ١٨]، ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ﴾ [النساء: ٨٥]، ﴿وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ﴾ [النساء: ٨٥]؛ أي: من انضم إلى غيره وعاونه وصار شَفْعًا له وشفيعا في فعل الخير والشر فعاونه وقوَّاه وشاركه في نفعه وضُرِّه(٢).

(١) معجم مقاييس، (شفع)، ٣/ ٢٠١.
(٢) المفردات في غريب القرآن للأصبهاني، (شفع): ٢٦٣.

وقال ابن منظور: والشفاعة كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره، وشفع إليه: في معنى طلب إليه، والشافع: الطالب لغيره من يتشفع به إلى المطلوب[١].

الشفاعة اصطلاحًا:

وأما تعريف الشفاعة اصطلاحا: فلا يخرج اصطلاح الفقهاء عن المعنى اللغوي[٢].

فقد قال الطيبي: الشفع ضم الشيء إلى مثله، ومنه الشفاعة وهو الانضمام إلى آخر ناصرا له وسائلا عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى، ومنه الشفاعة في الآخرة[٣].

وقد قال ابن الأثير: «قد تكرر ذكر الشفاعة في الحديث فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة، وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم»[٤].

وقال الكفوي: «الشفاعة هي سؤال فعل الخير وترك الضر عن الغير لأجل الغير على سبيل الضراعة» [٥].

---

(١) لسان العرب، (شفع)، ٧/ ١٥١.

(٢) قال مثل ذلك الوادعي في كتابه الشفاعة، وكذلك الموسوعة الفقهية لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت المجلد (٢٦).

(٣) الكاشف عن حقائق السنن للطيبي (١٠/ ١٨٦).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٨٥).

(٥) الكليات - معجم المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسين الكفوي، (١/ ٥٣٦).

وقال الجرجاني: «هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه»[١].

وقال السبكي: «الشفاعة طلب التجاوز عن الذنوب وطلب الخير من الغير»[٢].

وقال الشيخ محمد العثيمين: «هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة»[٣].

(١) كتاب التعريفات للجرجاني، والقاموس الفقهي لغة واصطلاحا.
(٢) المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود (٤/ ٢٠٥).
(٣) كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن قدامة المقدسي شرح الشيخ محمد العثيمين تحقيق أشرف عبد المقصود (صفحة ٧٢)، وكتاب المحاضرات السَّنِيّة في شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية شرح الشيخ محمد العثيمين (٢/ ٥٨٣).

المبحث الثاني

شروط الشفاعة

الشفاعة أمرها عظيم عند الله، وهي كلها لله عَزَّوَجَلَّ، أي مرجعها إليه جَلَّوَعَلَا، فلا تُسأل إلا منه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٤٤]. قال الزحيلي: «وليس في الشفاعة رجوع المولى عن إرادته لأجل الشافع، وإنما هي إظهار كرامة للشافع وتنفيذ ما أراد الله أزلًا عقب دعاء الشافع» اهـ[(١)]، ولهذا لا يملك أحد أنْ يتقدم بالشفاعة يوم القيامة لأي فرد إلا بشروط ثلاثة تتمثل في الآتي:

الشرط الأول: الإذن للشافع:

فلا تكون الشفاعة إلا بإذنه جَلَّوَعَلَا، قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨].

حتى الملائكة المقربين لا يملكون أنْ يشفعوا لأحد حتى يأذن الله لهم، قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور وهبة الزحيلي (١/ ١٥٨).

الشرط الثاني: الرضا عن الشافع:

ولا يأذن الله للشافع أنْ يشفع حتى يكون مرضيا عنه، قال تعالى: ﴿لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦]، ولهذا ستتباين مكانة الشفعاء عند الله بحسب رضاه عنهم، فمنهم من يرضى له أنْ يشفع لفرد أو لفردين، ومنهم من يرضى له أن يشفع لأمة من الناس، ومنهم من لا يؤذن له أنْ يشفع لأحد كما سيتبين لاحقًا إن شاء الله تعالى.

الشرط الثالث: الرضا عن المشفوع له:

ولا يأذن الله للشافع أنْ يشفع حتى يرضى أيضا عن المشفوع له، قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

فقد يرضى جَلَّ وَعَلَا عن الشافع ولا يرضى عن المشفوع له كما حصل لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما استأذن من رب العالمين أن يشفع لأمه بالاستغفار لها فلم يأذن له العزيز الحكيم، فقد روى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: زار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: «**استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت**»[(١)].

---

(١) رواه أحمد -الفتح الرباني- (٨/ ١٥٩) في أبواب زيارة القبور باب استحبابها للرجال دون النساء، و(٢٤/ ١٨٢) في قيام الساعة والنفخ في الصور والبعث والنشور: فرع فيما ورد في أبوي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورواه مسلم (٩٧٦) في الجنائز، باب استئذان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه عَزَّوَجَلَّ في زيارة قبر أمه، والترمذي (١٠٥٤) وابن حبان، والحاكم (١/ ٥٣٠)، والبيهقي، والطبراني في الكبير.

وروى ابن بريدة عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال خرجت مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى إذا كنا بِوَدَّان قال مكانكم حتى آتيكم فانطلق ثم جاءنا وهو سقيم فقال: «**إني أتيت قبر أم محمد فسألت ربي الشفاعة فمنعنيها، وإني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاثة أيام فكلوا وأمسكوا ما بدا لكم، ونهيتكم عن هذه الأشربة في هذه الأوعية فاشربوا فيما بدا لكم**»[(١)].

فلا يرضى الله جلَّ ثناؤه إلا لمن وحَّدَه وآمن به وبرسله. قال تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الزخرف: ٨٦]. والعهد وشهادة الحق هي شهادة التوحيد.

ولهذا فقد حرم الله جَلَّ وَعَلَا الشفاعة للكافرين في أكثر من موضع في القرآن الكريم تيئيسا لهم، إلا الشفاعة الأولى فهي لبدأ الحساب.

فقال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٥١].

وقال تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٧٠].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣٢٣ ح٢٢٥٠٨).

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ١٢٣].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

المبحث الثالث

موانع الشفاعة

تنقسم الشفاعة في الآخرة إلى نوعين اثنين: شفاعة مثبتة وشفاعة منفية.

فأما المثبتة: فهي الخاصة بالمسلمين، وقد أجمع أهل السنة والجماعة على وقوع الشفاعة في الآخرة لكل من أقرَّ بالشهادتين ولو أوبق نفسه بكبائر الذنوب.

وأما الشفاعة المنفية: فهي الشفاعة للكافرين، فهي منفية عنهم؛ لأنهم لم يقروا بتوحيد الله عَزَّوَجَلَّ، وهو العهد الذي أخذه الله عَزَّوَجَلَّ على عباده[(١)]، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم:٨٥-٨٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾؛ أي ليس لهم من يشفع لهم، كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض، كما قال تعالى مخبرا عنهم: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء:١٠٠، ١٠١]، وقوله سبحانه: ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾، هذا استثناء منقطع بمعنى: لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا، وهو شهادة أنَّ لا إله إلا الله والقيام بحقها.اهـ[(٢)].

---

(١) للاستزادة انظر كتاب مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١١٦)، وقاعدة جليلة في التوسل والوسيلة للمؤلف نفسه.

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤١).

المحرومون من الشفاعة يوم القيامة من الكفار:

إنَّ الذين كفروا لن تنفعهم شفاعة أحد يوم القيامة، ولو كان الشافع نبيا، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عنهم: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: «أي من كان متصفا بمثل هذه الصفات [أي الصفات التي سبقت هذه الآية] فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع؛ لأن الشفاعة إنما تنجع إذا كان المحل قابلا، فأما من وافى الله كافرا يوم القيامة، فإنه له النار لا محالة خالدا فيها» اهـ[(١)]. وقال في موضع آخر: «أي لا تنفعهم في الخروج من النار كما تنفع عصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة» اهـ[(٢)].

وعندما يرى الكافرون تفضل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على عباده المؤمنين وإذنه بالشفاعة لهم، يتمنون هذه الشفاعة، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٣].

وقال الله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء ١٠٠-١٠٣].

ولقد دعا نبي الله إبراهيم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه عَزَّوَجَلَّ في الدنيا أنَّ يغفر لأبيه آزر، ولكنَّ أحكم الحاكمين نهاه عن ذلك، وقد أخبرنا نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ

(١) المرجع السابق (٦/ ٣٠٤).
(٢) النهاية لابن كثير (٢/ ١٨٣).

إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيحاول مرة أخرى أنْ يشفع لوالده يوم القيامة، ولكن الله عَزَّوَجَلَّ لن يقبل شفاعة خليله إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبيه الكافر؛ لأن الشفاعة محرمة يومئذ على الكافرين.

لنقرأ سويا أحداث لقاء عاطفي كئيب عصيب سيتم يوم القيامة بين نبي من أنبياء الله وأبيه الكافر، جاء ذكره على لسان الصادق المصدوق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الحوار الذي سيكون بين خليل الله إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين أبيه آزر، مستذكرين حوارا تم قبله في الدنيا، جاء ذكره في سورة مريم(١).

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لا تَعْصِنِي؟ فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لا أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يا رَب إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ، فَيَقُولُ اللَّه تَعَالَى: إِنِي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ(٢) مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَارِ**»(٣).

---

(١) قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ۝٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ۝٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ۝٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ۝٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ۝٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ۝٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ۝٤٧ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ۝٤٨ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ۝٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾ [مريم:٤١-٥٠].

(٢) بذال معجمة وهو ذكر الضبع.

(٣) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء واللفظ له (٣٣٥٠) باب: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾، وقوله: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا﴾، وفي التفسير (٤٧٦٨) و(٤٧٧٦٩) باب: ﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ﴾، والحاكم (٥٨٩/ ٤) في كتاب الأهوال بلفظ: «يلقى رجل أباه يوم القيامة».

وأما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلمكانته عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فإنه سيشفع يوم القيامة في عمه أبي طالب لتخفيف العذاب عنه فقط، كما سيتم ذكره في الفصل الثاني في شفاعات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أخي القارئ أرأيت كيف سيكون حال ومصير الكافرين الذين نغتر بهم في الدنيا وإلى أي ذلٍ سيؤولون إليه؟ ألا يُرحم هؤلاء ويشفق عليهم بإنقاذهم من عذاب ينتظرهم؟ فإنه لا فرصة لهم البتة إلا في هذه الحياة، فمن ذا الذي يمد يد الشفقة إليهم قبل فوات الأوان؟ إنهم وإن كانوا لا يألون في مؤمن إلًّا ولا ذمة، فإن المسلم ينبغي أن يكون على عكس ذلك؛ لأنه يؤمن بالدين الحق ويحمل رسالة الله تعالى، فلنبلغها للقاصي والداني.

الفصل الثاني

شفاعات المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ويتضمن المباحث الثلاثة الآتية:

- المبحث الأول: أنواع شفاعات المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- المبحث الثاني: هل يُكره سؤال الله شفاعة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟
- المبحث الثالث: لمن ستكون شفاعة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

المبحث الأول

أنواع شفاعات المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: الشفاعات التي يختص بها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

المطلب الثاني: الشفاعات التي يشاركه فيها غيره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

توطئة

إنَّ الشفاعة أمرها عظيم وخطير، يرتبط بها مصير الإنسان يوم القيامة، ولإدراك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن الشفاعة نفعها للأمة كبير وعظيم، اختارها دون غيرها، بعد أنْ خيَّره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بينها وبين أنْ يدخل نصف أمته الجنة، فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**خيّرت بين الشفاعة أو يدخل نصف أمتي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى**»[(١)]. فلا بد أنْ يحاول

(١) رواه أحمد واللفظ له -الفتح الرباني- (٢٤/ ١١٨) كتاب قيام الساعة والنفخ في الصور والبعث والنشور، باب في الشفاعة للمذنبين يوم القيامة: الفصل الأول في حرصه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الشفاعة لأمته يوم القيامة، والترمذي (٧/ ١٣٢) في صفة القيامة باب ما جاء في الشفاعة عن عوف بن مالك الأشجعي، وابن ماجه (٢/ ٥٨٦) في الزهد باب الشفاعة، وابن خزيمة (٣٨٥) في كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ: باب ذكر ما كان من تخيير الله عَزَّوَجَلَّ نبيه محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين إدخال نصف أمته الجنة وبين الشفاعة، وقال البنا في الفتح الرباني (٢٤/ ١١٨): إسناده ضعيف لإبهام التابعي الراوي عن ابن عمر، والحديث في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٧٨) منسوبا إلى عبد الله بن عمرو وهو تصحيف، وقال الهيثمي رواه أحمد والطبراني إلا أنه قال: «**أما إنها ليست للمؤمنين المتقين ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين**» ورجال الطبراني رجال =

كل منا قدر المستطاع أنْ يفوز بشفاعة رسول الله ﷺ بالوسائل الشرعية، وألا يكون من المحرومين منها، لا سيما وأن الفوز بالشفاعة أمر ميسور لكل مسلم ولله الحمد، كما سيتبين في ثنايا هذا الكتاب بإذن الله تعالى.

سيكون للمصطفى ﷺ سلسلة من الشفاعات يوم القيامة، بدأً بالشفاعة العامة لجميع الخلق لبدء حسابهم، وهي الشفاعة الكبرى والمقام المحمود الذي وُعد به ﷺ، ثم تكون له شفاعات خاصة لهذه الأمة بعد أنْ يتفضل الله تعالى عليه بالإذن، وبعد هذا الإذن من الله جلَّ وعلا لرسوله ﷺ، فلن يدع رسول الله ﷺ مقاما يقف فيه يوم القيامة إلا وسيشفع فيه لهذه الأمة المرحومة المباركة، ومصداق ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: حدثني نبي الله ﷺ: «**إني لقائم أنتظر أمتي تعبر على الصراط، إذ جاءني عيسى فقال: هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد يسألون، أو قال: يجتمعون إليك ويدعون الله عز وجل أن يفرق جمع الأمم إلى حيث يشاء الله لغم ما هم فيه، والخلق ملجمون في العرق، وأما المؤمن فهو عليه كالزكمة، وأما الكافر فيتغشاه الموت، قال: قال لعيسى: انتظر حتى أرجع إليك، قال: فذهب نبي الله ﷺ حتى قام تحت العرش، فلقي ما لم يلق ملك مصطفى ولا نبي مرسل، فأوحى الله عز وجل إلى جبريل: اذهب إلى محمد فقل له: ارفع رأسك، سل تعط، واشفع تشفع، قال: فشفعت في أمتي أن أخرج من كل تسعة وتسعين إنسانا واحدا، قال: فما زلت أتردد على ربي عز وجل فلا أقوم مقاما إلا شفعت حتى أعطاني**

= الصحيح غير النعمان بن قرد وهو ثقه اهـ، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٤١١٩) وقال رواه أحمد عن ابن عمر والبيهقي عن أبي موسى، وأورده المناوي في فيض القدير (٣/ ٥٠٠) وقال: قال المنذري بعدما عزاه لأحمد والطبراني: إسناده جيد اهـ. وصحح الألباني الشطر الأول من الحديث إلى قوله ﷺ: «فاخترت الشفاعة» في صحيح الجامع (٣٣٣٥).

الله عَزَّوَجَلَّ من ذلك أن قال: يا محمد أدخل من أمتك من خلق الله عَزَّوَجَلَّ من شَهِدَ أنه لا إله إلا الله يوما واحدا مخلصا ومات على ذلك» (١).

اختلف العلماء في صور شفاعات النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يوم القيامة، ويمكن أنْ نجملها في مطلبين(٢):

المطلب الأول: الشفاعات التي يختص بها المصطفى صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

المطلب الثاني: الشفاعات التي لا ينفرد بها المصطفى صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

(١) رواه أحمد واللفظ له -الفتح الرباني- (٢٤/ ١٢٤) باب في الشفاعة للمذنبين يوم القيامة، الفصل الثالث في اختصاصه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالشفاعة العظمى لأهل الموقف وأنه أول من يشفع، وقال الهيثمي (١٠/ ٣٧٣) في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح، وابن خزيمة (٣٥٩) في كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ وقال محقق كتاب التوحيد لابن خزيمة: إسناده حسن ورجاله ثقات اهـ، وقال ابن كثير في النهاية (٢/ ١٩١) تفرد به أحمد وحكم الترمذي بالحسن لهذا الإسناد اهـ، وقال الوادعي في كتاب الشفاعة (صفحة ١٠٢): ورواه ابن خزيمة وحسن الترمذي إسناده اهـ.

(٢) للاستزادة من ذلك يمكن الرجوع إلى بعض المراجع التالية [مرتبة بالتسلسل الزمني]: كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ لابن خزيمة (٢/ ٥٨٨)، والترغيب والترهيب من الحديث الشريف للمنذري (٤/ ٤٣١)، والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (١/ ٢٨٥)، وشرح صحيح مسلم للإمام النووي كتاب الإيمان باب: إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار (٣/ ٣٨)، الفتاوى لابن تيمية (٣٦/ ٤٧)، والكاشف عن حقائق السنن للطيبي (١٠/ ٢٢٥)، والنهاية لابن كثير (٢/ ١٧٩)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي المعز الحنفي (صفحة ٢٥٣)، وفتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني باب صفة الجنة والنار (١١/ ٤٣٦)، وتهذيب الخصائص النبوية الكبرى لجلال الدين السيوطي (صفحة ٣٨٦)، والبدور السافرة في أمور الآخرة لجلال الدين السيوطي (صحة ١٥٢)، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علي القاري (٩/ ٥١٣)، ولوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية للسفاريني (٢/ ٢٠٤)، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٧/ ١٢٨)، ومعارج القبول بشرح سلم الوصول للحافظ للحكمي (٢/ ٨٨٦)، والتنبيهات السنية على العقيدة الواسطية لعبدالعزيز الرشيد (صفحة ٢٥٢)، والكواشف الجلية عن معاني الواسطية لعبد العزيز السلمان، وشرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد العثيمين (٢/ ٥٨٠)، وشرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد للشيخ ابن عثيمين (صفحة ٧٢).

المطلب الأول: الشفاعات التي يختص بها المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

١- الشفاعة لبدأ الحساب:

هي الشفاعة الكبرى لإراحة جميع الخلق من الإنس والجن مسلمهم وكافرهم، من هَوْل الموقف وشدته، وتعجيل حسابهم، وهي المقام المحمود الذي وَعده الله إياه في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]، ففي ذلك اليوم المشهود، يبعث مالك الملك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جميع الناس من قبورهم، ويحشرهم في أرض المحشر، حفاة عراة غرلا واقفين على أقدامهم خمسين ألف سنة لا يكلمهم.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار**» الحديث[(١)].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: تلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الآية: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كيف إذا جمعكم الله كما يجمع النبل من الكنانة خمسين ألف سنة، ثم لا ينظر إليكم**»[(٢)].

---

(١) رواه أحمد -الفتح الرباني - (٨/ ١٩٣) في الزكاة باب مشروعية قتال مانع الزكاة، ومسلم (٩٨٧) في الزكاة باب إثم مانع الزكاة، وأبو داود (١٦٥٨) في الزكاة باب في حقوق المال، والنسائي (٢٤٤٢) في الزكاة باب التغليظ في حبس الزكاة.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك في كتاب الأهوال (٤/ ٥٧٢) وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٣٥): رواه الطبراني ورجاله ثقات وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٢٩٧).

في ذلك اليوم، تُدْنَى الشمس منهم مقدار ميل، فيكون الناس في العَرَقِ على قدر أعمالهم، فيلجم بعضهم حتى يصل آذانهم[١]، فيصيب الناس من الكرب والشدة ما الله به عليم، حتى رُوي أنه يتمنى بعضهم، لو يُعجَّل لهم في الحساب، ولو آل مصيرهم إلى النار عياذا بالله من ذلك المقام[٢].

وفي ذلك اليوم العصيب يغضب الله غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وتزداد الكرب والأهوال، والكل يخاف ولا يهتم إلا بنفسه، حتى أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام، لا يقدر أحدهم على مخاطبة الباري جل جلاله ليبدأ في حساب الناس، إلا ما سيكون من المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث يبعثه الله مقاما محمودا ويعليه على سائر الخلق، ففي ذلك اليوم المهيب تتجلى سيادة خاتم الأنبياء والمرسلين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على جميع الرسل باختصاصه بالشفاعة الكبرى والمقام المحمود، وكأني أنظر إلى ندم النادمين الذين تنكبوا عن شريعته، وكأني أراهم وهم يعضون على أصابع الندم ولات حين مندم، فبأي وجه سيقابلون نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يا ترى بعدما رأوا مقامه عند ربه عَزَّوَجَلَّ؟

---

(١) عن المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل** (قال سليم بن عامر: فوالله ما أدري ما يعني بالميل أم مسافة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين) قال: **فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما**، قال: وأشار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى فيه». [رواه مسلم واللفظ له (٢٨٦٤) في صفة الجنة باب صفة يوم القيامة، والترمذي (٢٥٣٦) في أبواب صفة القيامة باب رقم (٢)].

(٢) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة حتى يقول: يارب أرحني ولو إلى النار**». [رواه ابن حبان والطبراني في الكبير واللفظ له (١٠٠٨٣) وأبو يعلى، وقال الهيثمي (١٠/ ٣٣٦) رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجال الكبير رجال الصحيح، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير (١٩٩٠)، وقال المناوي في فيض القدير (٢/ ٣٣٨): وقال المنذري إسناده جيد اهـ، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (٣٠٤٢)].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة فقال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بم ذاك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض، وسماك الله عبدا شكورا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فيأتون إبراهيم، فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فيقولون: يا موسى أنت رسول الله، فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله**

مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفسا لم أومر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله، وكلَّمت الناس في المهد، وكلمةٌ منه ألقاها إلى مريم وُروحٌ منه، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر له ذنبا، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأنطلق، فآتي تحت العرش، فأقع ساجدا لربي، ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحُسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: يا محمد، أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى»[1].

---

(١) رواه البخاري (٤٧١٢) في الأنبياء باب: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾، ومسلم واللفظ له (١٩٤) في الإيمان: باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، والترمذي (٢٥٥١) في صفة القيامة: باب ما جاء في الشفاعة، وابن خزيمة (٣٤٧) في كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ باب ذكر الشفاعة التي خص الله بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أجمع العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ بأن الشفاعة الأولى والعظمى تنتهي عند المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لفصل القضاء، بعد أن يمر الناس بالأنبياء ليشفعوا لهم عند الله لبدأ الحساب. إلا أن الغريب في الأمر، أنه لا يوجد حديث صحيح وصريح المعنى، يفيد الشفاعة لبدأ الحساب، وإنما يفهم ذلك ضمنا من ثنايا أحاديث الشفاعة، إذ أن جُل الأحاديث الصحيحة المروية، أفاد أولها بأن الناس يطلبون من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشفاعة عند الله لبدأ الحساب، فيسجد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحت العرش، فإذا قيل له: «ارفع رأسك واشفع تشفع» وقال: «أمتي أمتي»، جاءت روايات صحيحة متغايرة: =

= (أ) فرواية تقول: «فيحد لي حدا ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة» [رواه البخاري في عدة مواضع منها: في الرقاق (٦٥٦٥): باب صفة الجنة والنار، وأحمد -الفتح الرباني- (٢٤/ ١٢٤) باب اختصاصه ﷺ بالشفاعة العظمى، الفصل الثالث في اختصاصه ﷺ بالشفاعة = العظمى لأهل الموقف وأنه أول من يشفع].

(ب) ورواية تقول: «أخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان» [رواه البخاري (٧٥١٥) في التوحيد: باب كلام الرب عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، وابن خزيمة (٤٥٧) في كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ].

فهاتان الروايتان مثلا يدل سياقهما على أنَّ الحساب قد بدأ وحوسب الناس، ودخل بعضهم النار، ثم خرجوا منها بالشفاعة على دفعات كل على قدر إيمانهم، ولهذا علَّق ابن خزيمة على الرواية الأولى تعليقا طويلا جاء فيه: قوله في هذا الخبر -أعني خبر شعبة- في أول الشفاعة «فيخرج لي حدًا من النار» دال على أنَّ الشفاعة ليست الأولى...اهـ [كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ (٢/ ٦٠٩)].

(جـ) ورواية تقول: «أدخل من أمتك الجنة من لا حساب عليهم» [أخرجه البخاري (٤٧١٢) في التفسير باب: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾، وأخرجه مسلم (١٩٤) في الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة، و أحمد -الفتح الرباني- (٢٤/ ١٢٣) باب اختصاصه ﷺ بالشفاعة العظمى، الفصل الثالث في اختصاصه ﷺ بالشفاعة العظمى لأهل الموقف وأنه أول من يشفع].

ولم أعثر على رواية صحيحة تدل على الإعلان لبدأ الحساب، مما يدل على أنه وقع تقديم وتأخير واختصار من بعض الرواة رَحِمَهُمُ اللَّهُ ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وبعد مزيد من البحث في هذه المسألة، وجدت أن علماء الحديث رَحِمَهُمُ اللَّهُ قد سبقوني إلى هذا الملحظ.

فقد قال ابن خزيمة بعد استعراض أحاديث الشفاعة: قال النبي ﷺ: «واختصر لي الحديث اختصارا» [رواه البيهقي في الشعب والدارقطني عن عمر بن الخطاب (٤/ ١٤٤)، وحسن إسناده العراقي في كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (٢/ ٣٣٥)، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير (رقم ١١٦٦)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير رقم (١٠٤٨)]. فأصحاب النبي ﷺ ربما اختصروا أخبار النبي ﷺ إذا حدثوا بها، وربما اقتصوا الحديث بتمامه، وربما كان اختصار بعض الأخبار، أو بعض السامعين يحفظ بعض الخبر ولا يحفظ جميع الخبر، وربما نسي بعد الحفظ بعض المتن. فإذا جمعت الأخبار كلها علم حينئذ جميع المتن والسند... إلخ اهـ (كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ) (٢/ ٦٠٢) و(٢/ ٧٠٧). =

= وذكر الطيبي هذا الإشكال عند شرحه على قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فأخرجهم من النار» فقال: فإن قلت: دل أول الكلام على أنَّ المستشفعين هم الذين حبسوا في الموقف وهمَّوا وحزنوا لذلك وطلبوا أن يخلصهم من ذلك الكرب، ودلَّ قوله: «فأخرجهم من النار» على أنهم من الداخلين فيها، فما وجهه؟ قلت فيه وجهان:

أحدهما: لعل المؤمنين صاروا فرقتين، فرقة سِير بهم إلى النار من غير توقف، وفرقة حُبسوا في المحشر واستشفعوا به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما هم فيه وأدخلهم الجنة، ثم شرع في شفاعة الداخلين في النار زمرا بعد زمر، كما دل عليه قوله: «فيحد لي حدًا» إلخ فاختصر الكلام، وهو من حلية التنزيل، وقد ذكر قانونا في فتح الغيوب (لعله يقصد تفسير الرازي) في سورة هود يرجع إليه في مثل هذا الاختصار.

وثانيها: أنْ يراد بالنار الحبس والكرب، وما كانوا فيه من الشدة ودنو الشمس إلى رؤوسهم وحرها وسفعها وإلجامهم بالعرق، والخروج الخلاص منها والله أعلم اهـ (الكاشف عن حقائق السنن للطيبي ١٠/ ١٩٤).

كما ذكر مثل هذا الاستغراب ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية وعلل قائلا: وكان مقصود السلف في الاقتصار على هذا المقدار من الحديث هو الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة، الذين أنكروا خروج أحد من النار بعد دخولها، فيذكرون هذا القدر من الحديث الذي فيه النص الصريح في الرد عليهم فيما ذهبوا إليه من البدعة المخالفة للأحاديث...الخ اهـ (شرح العقيدة الطحاوية صفحة ٢٥٥).

كما ذكر مثل ذلك أيضا ابن حجر في الفتح فقال: قال الداودي: كأن راوي هذا الحديث ركّب شيئا على غير أصله، وذلك أن في أول الحديث ذكر الشفاعة في الإراحة من كرب الموقف، وفي آخره ذكر الشفاعة في الإخراج من النار، يعني وذلك إنما يكون بعد التحول من الموقف والمرور على الصراط وسقوط من يسقط في تلك الحالة في النار، ثم يقع بعد ذلك الشفاعة في الإخراج، وهو إشكال قوي، وقد أجاب عنه عياض والنووي [أي في شرحه على صحيح مسلم (٣/ ٥٩)] وغيره...إلخ. ثم قال في موضع آخر: فكأن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر اهـ [فتح الباري في الرقاق: باب صفة الجنة والنار (١١/ ٤٤٦)].

وذكر مثل ذلك السيوطي في كتابه البدور السافرة في أمور الآخرة (صفحة ١٥٤)، والقاري في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٥١٩).

هذا وبعد الجهد الطويل في بحث هذه المسألة من مظانها، وجدت الدكتور عمر الأشقر وفقه الله تعالى قد حررها في كتابه اليوم الآخر – القيامة الكبرى – (صفحة ١٨٤).

مَنْ هو أسعد الناس بهذه الشَّفَاعَة؟

إنَّ أسعد الناس بالشفاعة الأولى هو من يكون من أوائل الناجين من كرب الموقف والسابقين إلى الجنة، ولا يحظى بذلك إلا من كان يحمل في قلبه إيمانا ويقينا راسخا.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: «قلت: يا رسول الله مَنْ أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: **لقد ظننتُ يا أبا هريرة أنْ لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أوَّلَ منك، لما رأيتُ من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة: من قال لا إله إلا الله خالصا من قِبَلِ نفسه**»[(١)].

قال ابن حجر: وأما الشفاعة العظمى في الإراحة من كرب الموقف، فأسعد الناس بها مَنْ يسبق إلى الجنة، وهم الذين يدخلونها بغير حساب، ثم الذين يلونهم وهو من يدخلها بغير عذاب بعد أنْ يحاسب ويستحق العذاب، ثم من يصيبه لفح من النار ولا يسقط.

والحاصل أنَّ في قوله: «**أسعد**» إشارة إلى اختلاف مراتبهم في السبق إلى الدخول باختلاف مراتبهم في الإخلاص» اهـ[(٢)].

٢-الشفاعة لاستفتاح أبواب الجنان:

فإذا عَبَرَ المؤمنون الصراط اقتص بعضهم من بعض على قنطرة؛ لإزالة الأحقاد التي كانت بينهم في الدنيا؛ وإظهارا لعدله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثم تزلف لهم

(١) رواه البخاري (٩٩) في الإيمان باب الحرص على الحديث، وفي الرقاق (٦٥٧٠) باب صفة الجنة والنار.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (١١/ ٤٥١).

الجنة، فإذا أطلت عليهم بأسوارها وأنوارها وقصورها طارت قلوبهم شوقا لدخولها، إلا أنهم يفاجئون أنَّ أبوابها الثمانية مغلقة ولا تفتح لهم، فيهب المؤمنون إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام- أصحاب الشرائع - الأول بعد الآخر لعلهم أنْ يشفعوا لهم في استفتاح أبواب الجنة والتسريع في دخولهم فيها، فيتباعد الأنبياء عن هذه الشفاعة أيضا، حتى تنتهي إلى نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيسجد لله تعالى شافعا لاستفتاح أبواب الجنة لدخول المؤمنين فيها، وهذه خاصة به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فعن حذيفة وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يجمع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم؟ لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله، قال: فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك؛ إنما كنت خليلا من وراء وراء، اعمدوا إلى موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي كلمه الله تكليما، فيأتون موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه، فيقول عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لست بصاحب ذلك، فيأتون محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقوم فيؤذن له، وترسل الأمانة والرحم، فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا، فيمر أولكم كالبرق، قال: قلت . بأمي أنت وأمي . أي شيء كمر البرق؟ قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين، ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلِّم سلِّم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت**

به، فمخدوش ناج ومكدوسٌ في النار، والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفا»[(١)].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أنا أول الناس يشفع في الجنة**»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم واللفظ له (١٩٥) في الإيمان: باب في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا**»، والحاكم (٤/ ٥٨٨) في كتاب الأهوال عن أبي هريرة وحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وابن خزيمة (٣٥١) في كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ، باب ذكر البيان أنَّ هذه الشفاعة التي ذُكرت أنها أول الشافعات إنما هي قبل مرور الناس على الصراط حينما تزلف الجنة.

لعل قائلا يقول: ما الحكمة أنْ يعود الناس إلى الأنبياء للاستشفاع بهم في دخول الجنة حينما تزلف لهم بعدما علموا أنَّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام رفضوا أنْ يشفعوا عند الله عَزَّوَجَلَّ لبدأ الحساب وإنما قال كل منهم نفسي نفسي؟ فَلِمَ لمْ يذهب الناس إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مباشرة حينما أزلفت لهم الجنة ليشفع لهم في دخولها؟ أجاب بعض العلماء أنَّ ذلك يكون لإظهار مكانة وشرف نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأضيف قائلا: لعله ـ والله أعلم ـ أنَّ الذين ذهبوا إلى آدم ومن بَعْدَه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليشفعوا لتعجيل الحساب هم عموم الناس وبالأخص الكفار؛ لأنهم أكثر الناس معاناة لكرب يوم القيامة، وأما المؤمنون فإنَّ عامة النصوص تفيد بأنهم لا يعانون من كرب ذلك اليوم، وإنما هو عليهم كانتظار صلاة ظهر أو عصر ويكون للمؤمن كالزكمة ولله الحمد.

ولهذا يحتمل أنَّ الذين جاءوا آدم للاستشفاع به في دخول الجنة لم يذهبوا إليه أول مرة ولم يعلموا أنَّه رفض أنْ يشفع لبدأ الحساب، لهذا تكرر طلب الشفاعة من آدم ثم سائر الأنبياء، والعلم عند الله تعالى.

(٢) رواه مسلم واللفظ له (١٩٦) في الإيمان: باب في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا**»، وابن خزيمة (٣٦٠) في كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ باب ذكر البيان أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول شافع وأول مشفع يوم القيامة.

وعنه أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أُمرت لا أفتح لأحد قبلك**»(١).

وعنه أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة**»(٢).

٣- الشفاعة لمن لا حساب عليه بدخول الجنة.

وهي الشفاعة لدخول أكثر من خمسة ملايين مسلم الجنة بغير حساب ولا عذاب(٣)، ومصداق ذلك ما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) رواه أحمد -الفتح الرباني- (٢٤/ ١٩٣) في أبواب ذكر النار والجنة وما جاء فيهما: الفصل السادس: في ذكر أول من يدخل الجنة وصفتهم، ومسلم (١٩٧) في الإيمان باب في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا أول الناس يشفع في الجنة**».

(٢) رواه مسلم (١٩٦) في الإيمان باب في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا أول الناس يشفع في الجنة**».

(٣) اختلف العلماء في هذه الشفاعة فمنهم من أثبتها ومنهم لم يذكرها ضمن شفاعات المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو نفاها؛ لعدم الدليل الواضح عليها، فأما العلماء الذين أثبتوها فكلهم نقلا عن القاضي عياض كمثل: القرطبي في كتابه التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (١/ ٤٨٣) والنووي في شرحه على صحيح مسلم (٣/ ٣٥) وابن كثير في النهاية (٢/ ١٨٣) إلا أنَّه قال: وقد ذكر القاضي عياض وغيره نوعا آخر من الشفاعة وهو خامس وهي: في أقوام أنْ يدخلوا الجنة بغير حساب ولم أر له شاهدا فيما علمت، ولم يذكر القاضي عياض فيما رأيت مستند ذلك، ثم تذكرت حديث عكاشة بن محصن حين دعا له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يجعله الله من السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، والحديث مخرج في الصحيحين كما تقدم وهو يناسب هذا المقام اهـ، كما ذكرها أبو العز الحنفي في شرحه للعقيدة الطحاوية (٢٥٧) وابن حجر في فتح الباري (١١/ ٤٣٦) والسفاريني في كتابه لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٠٤) وأشار إلى تردد ابن دقيق العيد وابن حجر في ذلك فقال: وتردد ابن دقيق العيد في الاختصاص وتبعه الحافظ ابن حجر قال: فإنَّ الاختصاص إنما يثبت بالدليل ولا دليل عليه، وقد روى حديث هذه الشفاعة مسلم في صحيحه وجزم بالاختصاص الحافظ السيوطي في أنموذج اللبيب اهـ. كما أثبتها =

قال: «**سألت الله الشفاعة لأمتي، فقال لك سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**»[١]، وروى أبو أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وعدني ربي أنْ يدخل الجنة من أُمتي سبعين ألفا بلا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفا، وثلاث حثيِّات من حثيات ربي**»[٢]. نذكر الرواية التي فيها: «**فاستزدت ربي فأعطاني مع كل ألف**».

= المناوي في فيض القدير (١/ ٥٠٧) و(١/ ٥٦٨)، والوادعي في كتابه الشفاعة (١١٢).
وأما من لم يذكرها ضمن شفاعات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كمثل ابن تيمية في الفتاوى (١/ ٣١٧) وفي العقيدة الواسطية (٢٣)، وتلميذه ابن القيم كما أورد ذلك عنهم سليمان بن عبد الوهاب في تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (٢٩٤) إلا أن محقق كتاب التوحيد لابن خزيمة (صفحة ٥٩٠) أثبت هذه الشفاعة نقلا عن ابن القيم، والشيخ ابن عثيمين في كتابه المحاضرات السنية في شرح العقيدة الواسطية (٢/ ٥٨٨) وكذلك الشيخ ابن باز في حاشية كتاب المحاضرات السنية لابن عثيمين (٢/ ٥٨٩)، والحكمي في معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٨٨٦).
أقول ـ والصواب عند الله تعالى ـ بأن الحديث الذي جاء فيه **أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسجد ويحمد الله بمحامد ثم يقول: أمتي أمتي، فيقال له: أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن**، ومن المعلوم بأن هذه المجموعة التي لا حساب عليها لن تدخل الجنة إلا بشفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرة أخرى لفتح باب الجنة، لذلك أرى بأن هذه الشفاعة تتداخل مع الشفاعة لفتح باب الجنة، وأنها واحدة وليستا اثنتان، لذلك فإن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا شفع في فتح باب الجنة فإن الله سيقول له: أدخل من لا حساب عليهم؛ أي: سيكونون من أوائل الداخلين، كما أن قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعدني ربي أن يدخل من أمتي سبعون ألفا قد نعدها شفاعة في الدنيا وليست في الآخرة!

(١) رواه هناد، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير (٤٦٠٨)، والمناوي في فيض القدير (٤/ ٧٨) وقال: قال ابن حجر سنده جيد، ورواه عنه أيضا ابن منيع والديلمي اهـ.، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٨٧٩).

(٢) رواه أحمد –الفتح الرباني– (٢٤/ ١٩٧) الباب السادس في ذكر الجنة وأوصافها وأهلها وما أعده الله فيها لعباده المؤمنين، الفصل السابع في عدد من يدخلون الجنة بغير حساب وصفتهم، وقال البنا في الفتح (٢٤/ ١٩٧): أورده الحافظ ابن كثير في كتاب النهاية وقال: قال الضياء رجاله رجال الصحيح إلا الهوزني واسمه عامر بن عبد الله بن لحي وما علمت له جرحا اهـ=

من هذين الحديثين يتبين أنه سيدخل الجنة بإذن الله تعالى، قرابة الأربعة ملايين وتسعمائة وسبعون ألفا بغير حساب ولا عذاب، عدا الحثيات الثلاث، فلو قُسّم الحديث إلى ثلاث مجموعات لتسهيل عملية الحساب، لوجدنا الاتي:

المجموعة الأولى: من قوله ﷺ: «**سبعين ألفا**».

المجموعة الثانية: من قوله ﷺ: «**مع كل ألف سبعون ألفا**»، أي: سبعون مجموعة، في كل مجموعة سبعون ألفا، فيكون عدد هذه المجموعة: أربعة ملايين وتسعمائة ألف مسلم (٧٠ × ٧٠,٠٠٠ = ٤,٩٠٠,٠٠٠) أي كأنَّ كل واحد منهم يشفع لسبعين مسلما.

فيكون إجمالي المجموعتين الأولى والثانية فقط ٤,٩٧٠,٠٠٠ مسلما يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب[(١)].

= والترمذي (٢٥٥٤) في الشفاعة بابٌ منه، وقال حديث حسن غريب، وابن ماجه (٢/ ٥٧٤) في الزهد: باب صفة أمة محمد ﷺ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧١١١).

(١) لعل قائلا يقول: إن هذا العدد يتعارض مع ما حسبه الصحابة رضي الله عنهم في مجلس رسول الله ﷺ، حيث ذكر ابن حجر في الفتح (١١/ ٤١٩) رواية لابن أبي عاصم قال: قال أبو سعيد: « فحسبنا عند رسول الله ﷺ فبلغ أربعة آلاف ألف وتسعمائة ألف» اهـ [والحديث ضعفه الألباني في تخريجه لكتاب السُّنة لأبي عاصم رقم ٨١٤]، أقول: فلعل أبو سعيد الخدري رضي الله عنه حسب عدد المشفوع لهم فقط من قبل الشافعين، وهم السبعون ألفا ولم يحسب الجميع، إذ ذكر ابن حجر في الفتح (١١/ ٤١٨) قبل هذه الرواية مجموعة من الأحاديث الدالة على هذا المعنى فقال: أخرج الترمذي وحسنه والطبراني وابن حبان في صحيحه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه رفعه: «**وعدني ربي عز وجل أن يُدْخِل الجنة من أمتي سبعين ألفا، مع كل ألف سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب، وثلاث حثيات من حثيات ربي**». وفي صحيح ابن حبان أيضا والطبراني بسند جيد من حديث عقبة بن عبد نحوه بلفظ: «**ثم يشفع كل ألف في سبعين ألفا ثم يحثي ربي ثلاث حثيات بكفيه**»، فكبر عمر، فقال النبي ﷺ: «**إن السبعين ألفا سيشفعهم الله في آبائهم وأمهاتهم وعشائرهم، وإني لأرجوا أن يكون أدنى أمتي الحثيات**» اهـ.

المجموعة الثالثة: من قوله ﷺ: «**وثلاث حَثِيَّات من حَثِيَّات ربي**»، ولا شك بأن هذه الحَثِيَّات الثلاث تحتمل الزيادة على المجموعتين السابقتين، إيمانا بكرم الله تعالى ورحمته الواسعة التي ستبلغ مئة رحمة يوم القيامة.

وأما مواصفات هؤلاء الداخلين بغير حساب إنْ رغبت أنْ تكون منهم، فقد جاءت في الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب، هم الذين لا يسترقون** (أي لا يطلبون الرُقية)، **ولا يتطيرون** (أي لا يتشاءمون) **ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون**»[(١)].

ولا يعني دخلوهم بلا حساب أنهم أفضل هذه الأمة، بل ثبت في الحديث الصحيح أنَّ مجموعة من الصحابة رضي الله عنهم سيدخلون الجنة، قَبْلَ مَنْ لا حساب عليهم ولا عذاب.

قال ابن حجر رحمه الله: قد أخرج أحمد وصححه ابن خزيمة وابن حبان من حديث رفاعة الجهني رضي الله عنه قال: «**وعدني ربي** عزوجل **أنْ يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب، وإني لأرجو ألا يدخلوها حتى تَبَوَّءوا أنتم ومن صلح من آباءكم وأزواجكم وذرياتكم مساكن في الجنة**»[(٢)]. فهذا يدل على

---

(١) رواه البخاري (٦٤٧٢) في الرقاق: باب: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾، كما جاءت أحاديث أخرى في وصف من سيدخل الجنة بغير حساب (انظر كيف تنجو من كرب الصراط).

(٢) رواه أحمد -الفتح الرباني- (١/ ٥١) كتاب التوحيد باب في نعيم الموحدين ووعيد المشركين، وابن خزيمة (١٩٦) في كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عزوجل، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٠): رواه أحمد وعند ابن ماجه بعضه ورجاله موثوقون اهـ. وقال الوادعي في كتاب الشفاعة (صفحة ١١٦): ورواه ابن المبارك والطيالسي والطبراني في الكبير، وقال الحافظ ابن كثير في النهاية (٢/ ١٠٨): قال الحافظ الضياء هذا عندي على شرط الصحيح اهـ، ورواه ابن ماجه (٢/ ٥٧٤) في الزهد باب صفة أمة محمد ﷺ.

أنْ مزية السبعين بالدخول بغير حساب، لا يستلزم أنهم أفضل من غيرهم، بل فيمن يحاسب في الجملة من يكون أفضل منهم، وفيمن يتأخر عن الدخول ممن تحققت نجاته، وعرف مقامه من الجنة يشفع في غيره من هو أفضل منهم اهـ[١].

٤- الشفاعة لأطفال المشركين بدخول الجنة:

اختلف العلماء في أطفال المشركين هل يدخلون الجنة أو أنهم مع آباءهم في النار وذلك على ثمانية أقوال[٢]، والراجح ـ والله أعلم ـ أنهم من أهل الجنة إنْ شاء الله تعالى لما صح عن أنس بن مالك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أطفال المشركين خَدَم أهل الجنة**»[٣].

ذكر العراقي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه على هذا الحديث سبعة مذاهب، فقال في المذهب الخامس: أنهم - أي أطفال المشركين - في برزخ، حكاه أبو العباس القرطبي عن قوم قال: قيل أحسبهم من غير أهل النار، حكى النووي الأول وهو أنهم في النار عن الأكثرين، والثاني وهو أنهم في الجنة عن المحققين قال: وهو الصحيح، ويستدل عليه بأشياء منها: حديث إبراهيم الخليل صلوات الله عليه حين رآه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجنة وحوله أولاد الناس قالوا: يا رسول

---

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (١١/ ٤١٧).

(٢) لمزيد من الاطلاع انظر الكلام مبسوطا في كتاب طريق الهجرتين لابن قيم الجوزية (صفحة ٦٨٦) وكتاب السنة لأبي عاصم بحاشيته ظلال السنة للألباني، وأحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية.

(٣) رواه الطبراني، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢١٩): رواه أبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط ثم قال: وفي إسناد أبي يعلى يزيد الرقاش وهو ضعيف، وقال: فيه ابن معين رجل صدق ووثقه بأن عدي وبقية رجالها رجال الصحيح اهـ، وضعفه ابن حجر (٣/ ٢٩٠/ ح ١٣٨٥) في الفتح، وصححه السيوطي (١١٠٣) في الجامع الصغير، والألباني في صحيح الجامع (١٠٢٤) وفي السلسلة الصحيحة (١٤٦٨).

الله، وأولاد المشركين؟ [قال: **وأولاد المشركين**] رواه البخاري في صحيحه، ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، ولا يتوجه على المولود التكليف ويلزمه قول الرسول حتى يبلغ، وهذا متفق عليه، قال: والجواب عن حديث: «**والله أعلم بما كانوا عاملين**» أنه ليس تصريح بأنهم في النار وحقيقية لفظه والله أعلم بما كانوا يعملون لو بلغوا، والتكليف لا يكون إلا بالبلوغ، وأما غلام الخضر فيجب تأويله قطعا؛ لأن أبويه كانا مؤمنين فيكون هو مسلما، فيتأول على أن معناه أن الله علم أنه لو بلغ لكان كافرا إلا أنه كافر في الحال ولا يجري عليه في الحال أحكام الكفار انتهى، وسفك دمه في الحال غير سائغ في شريعتنا ولا أظنه كان في شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإنما كان في شريعة الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهي شريعة منسوخة لا يجوز التمسك بها، على أن بعضهم ذكر أن هذا الغلام كان قد بلغ وكان قاطع طريق ووصفه بأنه غلام ليس صريحا في أنه لم يبلغ، ففي الحديث عن عبد الملك بن ربيعة قال: اجتمعت أنا والفضل بن عباس ونحن غلامان شابان قد بلغنا، ولكنه قول بعيد منكر، وروى ابن عبد البر في التمهيد عن عائشة قالت: «سَأَلَت خديجةُ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أولاد المشركين هم مع آبائهم، ثم سألته بعد ذلك فقال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»، ثم سألته بعد ما استحكم الإسلام فنزلت: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨]، فقال: «**هم على الفطرة**»، أو قال: «**في الجنة**»، وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سألت ربي اللاهين من ذرية البشر فأعطانيهم أن لا يعذبهم**» وعن أنس مرفوعا أيضا: «**وأولاد المشركين خدم أهل الجنة**» وعن سلمان موقوفا: «**أطفال المشركين خدم أهل الجنة**»..اهـ[1].

(١) طرح التثريب في شرح التقريب للعراقي (٧/ ٢٣١).

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه على هذا الحديث: «**أطفال المشركين**» أي أولاد الكفار الصغار، «**خدم أهل الجنة**» يعني يدخلوها فيُجعلون خدما لمن فيها، وبهذا أخذ الجمهور، قال النووي: وهو الصحيح المختار لمن تبلغه الدعوة الأولى، وأما خبر «**الله أعلم ما كانوا عاملين**» فلا تصريح فيه، فإنهم ليسوا في الجنة، وخبر أحمد عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «سألت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أولاد المشركين فقال: «**في النار**» فضعيف، وقيل: بالوقف، وقيل: تحت المشيئة، وقيل: من عَلِمَ الله كفره لو عاش في النار وخلافه في الجنة، وقيل: يصيرون ترابا، وقيل: غير ذلك والمعول الأول اهـ[1].

وقال الأرناؤوط: والقول الصحيح الذي ذهب إليه المحققون من العلماء وارتضاه جمع من المفسرين والمتكلمين هو أنهم في الجنة، واحتجوا بما رواه البخاري في صحيحه (١٢/ ٤٥٧/ ح٧٠٤٧) من حديث سمرة بن جندب قال: كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما يكثر أن يقول لأصحابه: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قال: فيقص عليه ما شاء الله أن يقص، وأنه قال لنا ذات غداة: إني أتاني آت الليلة آتيان، فذكر الحديث... وفيه..: «**وأما الولدان الذين حوله، فكل مولود مات على الفطرة**، فقال بعض المسلمين: يا رسول الله وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وأولاد المشركين**» فهذا الحديث الصحيح صريح في أنهم في الجنة، ورؤيا الأنبياء وحي، وفي مستخرج البرقاني على البخاري من حديث عوف الأعرابي، عن أبي رجاء العطاردي، عن سمرة عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كل مولود يولد على الفطرة**، فقال الناس: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ قال: «**وأولاد المشركين**» الخ[2].

(١) فيض القدير للمناوي (١/ ٥٣٨).
(٢) شرح السنة للبغوي (١/ ١٥٥)

ولكن يبقى السؤال المهم كيف سيدخل هؤلاء الأطفال الجنة؟

إنهم سيدخلون بشفاعة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولله الحمد والمنة، ودليل ذلك ما رواه أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**سألت ربي اللاهين من ذرية البشر أنْ لا يعذبهم فأعطانيهم**»[(١)].

قال المناوي عن أطفال المشركين: فهم من أهل الجنة وهذا ما عليه الجمهور، وقال المصنف في السندسية والأخبار الواردة بأنهم في النار بعضها متين لكنه منسوخ عند أهل التحقيق والرسوخ بالشفاعة الواقعة من المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهم، حيث قال في الخبر الماضي: «**سألت ربي أنْ لا يعذب اللاهين.. إلخ**» قال والناسخ من الكتاب قوله تعالى:﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [فاطر: ١٨] اهـ[(٢)].

وعلى هذا فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيختص بهذه الشفاعة بإذن الله تعالى، ولكن هل نص عليها جمهور العلماء؟ ولم سكتوا عنها؟

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢١٩): رواه أبو يعلى من طرق رجال أحدهما رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن المتوكل وهو ثقه ولفظها «**سألت الله اللاهين من ذرية البشر فأعطانيهم**» اهـ، وحسن هذه الرواية ابن حجر في فتح الباري (٣/ ٢٩٠/ ح١٣٨٢)، وفي رواية أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**سألت ربي أن لا يعذب اللاهين من ذرية البشر فأعطانيهم**» صححه السيوطي في الجامع الصغير (٤٥٩٨) وقال: رواه ابن أبي شيبة والدارقطني، وقال المناوي في فيض القدير (٤/ ٧٥): قال ابن الجوزي حديث لا يثبت وله عدة طرق اهـ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٩٢)، وفي رواية أخرى أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**سألت ربي اللاهين، فأعطانيهم**» قلت: وما اللاهون؟ قال: «**ذراري البشر**» حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٨٨١).

(٢) فيض القدير للمناوي (٤/ ٧٧).

٥- الشفاعة لتخفيف العذاب عن بعض الكفار.

وهي شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند الله تعالى لعمه أبي طالب، في تخفيف العذاب عنه ليكون أخف الكفار عذابا في نار جهنم، وذلك لما رواه أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذكر عنده عمه أبا طالب، فقال: «**لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من نار، يبلغ كعبيه يغلي منه أم دماغه**»[(١)]، وفي حديث آخر قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أهون أهل النار عذابا أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه**»[(٢)]، وفي رواية للنعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ أهون أهل النار عذابا، من له نعلان وشراكان من نار، يغلي منهما دماغه، كما يغلي المرجل، ما يرى أنَّ أحدا أشد منه عذابا، وإنه لأهونهم عذابا**»[(٣)].

قال الشنقيطي: هذا الذي قررنا من أنَّ الشفاعة للكفار مستحيلة شرعا مطلقا، يستثنى منه شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمه أبي طالب في نقله من محل من النار إلى محل آخر منها، كما ثبت عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصحيح فهذه الصورة التي ذكرنا من تخصيص الكتاب بالسُّنة اهـ[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٣٨٨٥) في مناقب الأنصار: باب قصة أبي طالب، وفي الرقاق (٦٥٦٤) باب صفة الجنة والنار، ومسلم (٢١٠) في الإيمان: باب شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه.

(٢) رواه مسلم (٢١٢) في الإيمان: باب أهون أهل النار عذابا.

(٣) المصدر السابق.

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ١٣٨).

المطلب الثاني: الشفاعات التي تكون له وتكون لغيره ﷺ:

١- الشفاعة لأهل الكبائر:

وهي فيمن دخل النار من المذنبين من هذه الأمة، فيخرج بشفاعة نبينا محمد ﷺ وبشفاعة غيره من الملائكة والأنبياء وصالح المؤمنين، كما سيبين ذلك في الفصل الخامس من الكتاب[(١)]، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة**»[(٢)].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**يخرج قوم من النار بشفاعة محمد** ﷺ، **فيدخلون الجنة يُسمَّون الجهنَّميين**»[(٣)].

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ليُصيبنَّ أقواما سفْعٌ من النار بذنوب أصابوها عقوبة، ثم يُدخلهم الله الجنة بفضل رحمته، يقال لهم الجهنَّميون**»[(٤)].

---

(١) ذكر ابن كثير في النهاية (٢/ ١٩٣، ١٨٥) بأن الشفاعة لأهل الكبائر لا يختص بها رسول الله ﷺ وإنما يشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون، وذكر بأن البيهقي ذهب إلى اختصاص نبينا محمد ﷺ بالشفاعة لأهل الكبائر وأن غيره من الشفعاء إنما يشفعون في الصغائر.

(٢) سبق تخريجه في الحاشية رقم (٢٥).

(٣) رواه البخاري واللفظ له (٦٥٦٦) في الرقاق باب صفة الجنة النار، وأبو داود (٤٧١٦) في السنة باب في الشفاعة، والترمذي (٢٧٢٤) في صفة جهنم باب ما جاء أن للنار نفسين وما ذُكر من يخرج من النار من أهل التوحيد، وابن ماجه (٢/ ٥٨٥) في الزهد: باب ذكر الشفاعة.

(٤) رواه البخاري واللفظ له (٧٤٥٠) كتب التوحيد باب إنَّ رحمة الله قريب من المحسنين، وأحمد (٣/ ١٤٧ و٢٠٨)، وابن خزيمة (٤٠١) كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل.

وروت أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**رأيت ما تلقى أمتي بعدي وسفك بعضهم دماء بعض، وسبق ذلك من الله تعالى، كما سبق الأمم قبلهم، فسألته أن يوليني شفاعة يوم القيامة فيهم، ففعل**»[(١)].

وروى قتادة عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقولون: لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا، فيأتون آدم فيقولون: أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من رُوحه، وأمر الملائكة بالسجود لك، فاشفع لنا عند ربك، فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته، ويقول: ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله، فيأتونه، فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته، ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلا، فيأتونه، فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته، ائتوا موسى الذي كلمه الله، فيأتونه، فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته، ائتوا عيسى، فيأتونه، فيقول: لست هناكم، ائتوا محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني، فأستأذن على ربي، فإذا رأيته وقعت له ساجدا، فيدعُني ما شاء الله، ثم يقال لي: ارفع رأسك، وسل تعطه، وقل يسمع، واشفع تُشَفَّع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بمحامد يعلمني، ثم أشفع فيحد لي، ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجدا مثله في الثالثة أو الرابعة، حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن**»، وكان قتادة يقول عند هذا: أي وجب عليه الخلود[(٢)].

(١) رواه أحمد واللفظ له -الفتح الرباني- (٢٤/ ١١٨) كتاب قيام الساعة والنفخ في الصور والبعث والنشور، باب في الشفاعة للمذنبين يوم القيامة، وقال البنا في الفتح: رواه البيهقي في البعث وصحح إسناده اهـ، ورواه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٨) وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي في التلخيص، ورواه ابن أبي عاصم في السنة (٨٠٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٤٠) وقال: ورواه الطبراني في الأوسط وابن عساكر في التاريخ اهـ.

(٢) رواه البخاري واللفظ له (٦٥٦٥) في الرقاق، باب صفة الجنة والنار.

٢- الشفاعة لرفع درجات أهل الجنة:

وهي الشفاعة في زيادة درجات بعض أهل الجنة بأكثر مما يستحقون، وقد اتفق المسلمون على هذه الشفاعة حتى المعتزلة كما نقل ذلك الإمام النووي عن القاضي عياض رَحِمَهُمَا اللَّهُ [١]، وقال ابن تيمية حينما ذكر شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وأما شفاعته ودعاؤه للمؤمنين فهي نافعة في الدنيا والدين باتفاق المسلمين، وكذلك شفاعته للمؤمنين يوم القيامة في زيادة الثواب ورفع الدرجات متفق عليها بين المسلمين، وقد قيل أنَّ بعض أهل البدع ينكرها» اهـ[٢].

وهذه الشفاعة في رفع الدرجات لا يختص بها النبي المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل يشاركه فيها غيره [٣]، وأما دليلها فهو دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي سلمة ولعبيد بن أبي عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حين توفيا بأن يرفع الله درجتيهما في الجنة، وقد نص ابن كثير وابن القيم رَحِمَهُمَا اللَّهُ على أنَّ ذلك شفاعة في رفع الدرجات [٤].

فأما دعاؤه لأبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد روت أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: دخل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه، ثم قال: «**إنَّ الروح إذا قبض أتبعه البصر**»، فضج ناس من أهله، فقال: «**لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير؛ فإن الملائكة يُؤَمّنون على ما تقولون**، ثم قال: «**اللهم اغفر لأبي سلمة**،

---

(١) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٣/ ٣٨) في الإيمان باب اثبات الشفاعة واخراج الموحدين من النار.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١/ ١٤٨).

(٣) هناك وسائل عديدة لرفع الدرجات في الجنة، ارجع إلى كتابي: (كيف ترفع درجتك في الجنة؟).

(٤) النهاية لابن كثير (٢/ ١٨٣)، وعون المعبود شرح سنن أبي داود مع شرح الحافظ ابن القيم الجوزية (١٣/ ٧٧).

وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره ونوِّر له فيه»[(١)].

وأما دعاؤه لأبي عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد رواه أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه لما أصيب عَمُّه أبو عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في غزو أوطاس أوصاه بأن يُقرء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه السلام وأن يستغفر له، فلما توفي أبو عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَخبر أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، فتوضأ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورفع يديه وقال: «**اللهم اغفر لِعُبيد أبي عامر، ورأيت بياض إبطيه، ثم قال: اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس...**الخ» والحديث فيه قصة [(٢)].

وخلاصة ما سبق من شفاعات، يتبين أنَّ للمصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شفاعات عديدة منها ما يختص بها دون غيره من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين ومنها ما يشاركه فيها سائر الشفعاء مما يوضح مكانته العلية عند ربه عَزَّوَجَلَّ.

وبعد استعراض هذه الشفاعات لعله يتبين للقارئ الكريم أهمية وضرورة شفاعات المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكل مذنب ومقصر، عدا الشفاعة الأولى والتي ستكون لعامة الخلق، والشفاعة لعمه أبي طالب، وإن المسلم الفطن ليتيقن أنه لا يستغني عن شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة ألبته، لأنه ولا بد وأن يكون في

(١) رواه مسلم (٩٢٠) في الجنائز باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر، والترمذي (٩٨٤) في الجنائز باب ما جاء في تلقين المريض عند الموت والدعاء له، وأبو داود (٣٠٩٩) في الجنائز باب ما يستحب أن يقال عند الميت من الكلام، والنسائي (٤/ ٥/ ح١٨٢٣) في الجنائز باب كثرة ذكر الموت.

(٢) رواه البخاري (٤٣٢٣) في المغازي باب غزوة أوطاس، وفي الدعوات (٦٣٨٣) باب الدعاء عند الوضوء، ومسلم (٢٤٩٨) في كاب فضائل الصحابة باب في فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أحد حالات ثلاث: فإما أنْ تتساوى حسناته مع سيئاته [١]، وإما أنْ تزيد سيئاته

(١) هناك شفاعتان أيضًا غير ما ذكر للمصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم تثبت صحة أحاديثها:

الشفاعة الأولى: في قوم من هذه الأمة استوجبوا النار بذنوبهم فيشفع فيهم نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل دخولهم فيها، فيدخلون الجنة بحمد الله تعالى ورحمته.

والشفاعة الثانية: هي لأناس تساوت حسناتهم مع سيئاتهم، فيشفع فيهم نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لترجح الحسنات على السيئات فيدخلوا الجنة.

وقد عد العلماء هاتين الشفاعتين من شفاعات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع ضعف أحاديثها، ولا غرابة من هاتين الشفاعتين؛ لأن ذلك لا يخالف النصوص الصريحة، فإذا كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيشفع لأناس دخلوا النار أصلا، ألا يشفع لأناس استوجبوا النار ولم يدخلوها بعد! أو لأناس تساوت حسناتهم مع سيئاتهم؟

فأما دليل الشفاعة الأولى: فلم أقف على أحد من العلماء استدل عليها بحديث ولو ضعيف إلا ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه النهاية (٢/ ١٨٢) حيث بوب لهذه الشفاعة بابًا وذكر حديثا لأبي بكر بن أبي الدنيا في كتاب الأهوال عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أُمر بقوم من أمتي قد أُمر بهم إلى النار فيقولون يا محمد: ننشدك الشفاعة، قال: آمر الملائكة أنْ يقفوا بهم، قال فأنطلق وأستأذن على الرب عَزَّوَجَلَّ فيأذن لي فأسجد وأقول: يا رب، قوم من أمتي قد أمرت بهم إلى النار، قال: فيقول لي: انطلق فأخرج منهم، قال: فأنطلق فأُخرج منهم من شاء الله أنْ أُخرج، ثم ينادي الباقون: يا محمد، ننشدك الشفاعة، فأرجع إلى الرب فأستأذن فيؤذن لي فأسجد، فيقال لي: ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تُشَفَّع، فأُثني على الله بثناء لم يثن عليه أحد، أقول: ثم قوم من أمتي قد أُمر بهم إلى النار، فيقول: انطلق فأخرج منهم، قال فأقول: يا رب أُخرج منهم من قال: لا إله إلا الله، ومن كان في قلبه حبة من إيمان، قال: فيقول: يا محمد، ليست تلك لك، تلك لي، قال: فأنطلق فأُخرج من شاء الله أنْ أُخرج، قال: فيبقى قوم فيدخلون النار...الحديث**» [قال الوادعي في كتاب الشفاعة (صفحة ١١١): الحديث رجاله رجال الصحيح إلا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة وقد وثَّقه الدارقطني، وقال الجعابي: يحدث عن أبي سلمة بعجائب كما في التهذيب والميزان، ويخشى أيضا من إرساله، فيحتمل أنْ يكون عبد الله بن الحارث سمعه من أبي هريرة، ويحتمل أنْ يكون أرسله والله أعلم اهـ.]

وأما حديث الشفاعة الثانية: لمن تساوت حسناته مع سيئاته، فقد ذكره ابن حجر في الفتح (١١/ ٤٣٦) فقال: وظهر لي بالتتبع شفاعة أخرى وهي الشفاعة فيمن استوت حسناته وسيئاته أنْ يدخل الجنة، ومستندها ما أخرجه الطبراني عن ابن عباس قال: السابق يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد برحمة الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلونها بشفاعة=

على حسناته فيستحق النار، وإما أنَّ تزيد حسناته على سيئاته فيطمع في درجة عالية في الجنة بأكثر مما يستحق. وكل تلك الحالات يحتاج فيها المرء إلى شفاعات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولو كان ممن سيدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فإنه لن يدخلها إلا بعد شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم بالدخول، لهذا كانت الحاجة ماسَّة لمعرفة الوسائل المعينة للفوز بشفاعة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا ما سيتم عرضه في الفصل التالي.

= النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد تقدم قريبا أنَّ أرجح الأقوال في أصحاب الأعراف أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم اهـ. كما ذكر ابن كثير في تفسيره (الآية ٤٨ من سورة الأعراف (٢/ ٥٣٥» حديثا طويلا موقوفا على حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن تساوت حسناته مع سيئاته.

أقول ولعله يمكن الاستدلال بوقوف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند الميزان هو للشفاعة لتثقيل موازين من تساوت حسناته مع سيئاته من أمته حيث روى أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: سألت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يشفع لي. قال: «**أنا فاعل**». قلت: يا رسول الله، فأين أطلبك؟ قال: «**اطلبني أول ما تطلبني عند الصراط**، قال: قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: **فأنا عند الميزان**، قال قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «**فأنا عند الحوض لا أُخطئ هذه المواطن يوم القيامة**». [سبق تخريجه في حاشية رقم ٨].

المبحث الثاني

هل يُكره سؤال الله شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

إنَّ من يقرأ حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»[(١)] لا أظنه يتمنى أنْ يكون من أهل الكبائر ليحظى بهذه الشفاعة؛ لأنهم في الغالب ممن سيستحقون النار إلا أن يغفر الله لهم، ولكن هل معنى ذلك أننا لا نتمنى الشفاعة ولا نسأل الله تعالى شفاعة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

إنَّ بعض الناس لا يسألون الله تعالى شفاعة نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل لا يتمنونها معللين بأن الشفاعة لا يحتاج إليها إلا من كان عمله قاصرا، أو من أوبقته ذنوبه في نار جهنم، وأن المسلم الذي يتمنى مثل هذه الشفاعة، كأنه يدعو على نفسه بطريق غير مباشر بأن يكون من هذا الصنف، ويقول هؤلاء: إنه ينبغي أنْ لا نسأل الله تعالى الشفاعة، وإنما نسأله أنْ نكون شافعين للناس لا مشفوعا لنا، ويقوي هذا الفريق حجته بالاستدلال ببعض الأحاديث التي تنهى عن تمني الشفاعة، وهي أحاديث ضعيفة، منها ما رواه أبو أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢١٣)، والترمذي واللفظ له (٢٥٥٢) في صفة القيامة: باب ما جاء في الشفاعة وقال هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وأبو داود (٤٧١٥) في السنة: باب في الشفاعة، وابن ماجه (٢/ ٥٨٣) في السنة: باب ذكر الشفاعة، وابن خزيمة (٣٩٢) في كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ، والحاكم (١/ ٦٩)، والطبراني في الكبير (٧٤٩)، وصححه الأرناؤوط في تخريجه جامع الأصول لابن الأثير (١٠/ ٤٧٦)، والألباني في صحيح الجامع (٣٧١٤).

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**نعم أنا لشرار أمتي، فقالوا فكيف أنت لخيارها؟ قال: أما خيارها فيدخلون الجنة بأعمالهم، وأما شرارهم فيدخلون الجنة بشفاعتي**»(١).

وقد ردَّ العراقي رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره على هذا القول، فقال: كره بعضهم للعبد أنْ يسأل الله تعالى أنْ يرزقه شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكونها لا تكون إلا للمذنبين، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**» رواه الترمذي وابن ماجه من حديث جابر، وقال جابر: من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة؟(٢) وروى ابن عبد البَر في التمهيد عن أسماء بنت عميس أنها قالت: «يا رسول الله، ادع الله أنْ يجعلني ممن تشفع له يوم القيامة»، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذًا تخمشك النار، فإن شفاعتي لكل هالك من أمتي تخمشه النار**»(٣).

وقال القاضي عياض: «لا يلتفت إلى هذا القول؛ فإن الشفاعة قد تكون لتخفيف الحساب، وزيادة الدرجات، ثم كل عاقل معترف بالتقصير، محتاج إلى العفو غير معتد بعمله، مشفق أنْ يكون من الهالكين، قال ويلزم هذا خلاف ما عُرِفَ من دعاء السلف الصالح، فقد عرف بالنقل المستفيض سؤالهم شفاعة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورغبتهم فيه» اهـ(٤).

(١) رواه الطبراني في الكبير (٧٤٨٣)، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٧٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٥٥٣) في صفة القيامة: باب ما جاء في الشفاعة وقال هذا حديث غريب من هذا الوجه، وابن ماجه (٢/ ٥٨٣) في السنة: باب ذكر الشفاعة، وابن خزيمة (٣٩٥) في كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ، وحسنه الأرناؤوط في تخريجه جامع الأصول لابن الأثير (١٠/ ٤٧٧) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٩٨٣).

(٣) رواه ابن عدي والطبراني في الكبير (٢٣/ ٣٦٩/ حـ٨٧٢) برواية» اعملي ولا تتكلي فإن شفاعتي للهالكين من أمتي»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٧٨): رواه الطبراني وفيه عمرو بن محزوم وهو ضعيف، وضعفه السيوطي في الجامع الصغير (١٢٠٤) ووافقه المناوي في فيض القدير (٢/ ١٣).

(٤) طرح التثريب في شرح التقريب للعراقي (٣/ ١١٢٠). ونقل النووي في شرحه على صحيح =

ونقل ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ استشكال بعض العلماء من أحاديث فضائل الأعمال التي جعل ثواب قائلها شفاعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع ما ثبت أنَّ الشفاعة للمذنبين. وأجيب لأن لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شفاعات أخرى: كإدخال الجنة بغير حساب، وكرفع الدرجات، فيعطى كل أحد ما يناسبه اهـ[1].

= مسلم كلام القاضي عياض في ذلك (٣/ ٣٨)، ونقله ابن حجر في الفتح (١١/ ٤٧١)، والمناوي في فيض القدير (٣/ ٥٠١). كما نقل الرازي في تفسيره كلاما مطولا مثل ذلك (٣/ ٥٤).

(١) فتح الباري (٢/ ١١٤) بتصرف.

المبحث الثالث

لمن ستكون شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة؟

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجَّل كل نبي دعوته، وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إنْ شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا**»(١).

قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث: ففيه دلاله لمذهب أهل الحق أنَّ كل من مات غير مشرك بالله تعالى، لم يخلد في النار، وان كان مصرا على الكبائر اهـ(٢).

فهذا الحديث يفيد بأن الشفاعة نائلة بإذن الله تعالى كل من أقرَّ بالشهادتين ومات على التوحيد. فعلى المرء المسلم أنْ يحفظ جناب التوحيد من أي لون من ألوان الشرك الأصغر والأكبر كالحلف بغير الله، أو النذر لغير الله، أو التوكل على غير الله، أو الاعتقاد أنَّ في الكون من يضر أو ينفع بذاته غير الله، أو سؤال أهل القبور والتوسل إليهم، أو الذهاب إلى الكهنة والعرافين والسحرة ونحو ذلك من ألوان الشرك.

ومن بشائر هذا الحديث أيضا، أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيحد له حدودا ومواقع في النار، فيخرج منها عبر سلسلة من الشفاعات - وذلك على مراحل

---

(١) رواه البخاري (٦٣٠٤) في الدعوات: باب لكل نبي دعوة مستجابة، ومسلم واللفظ له (١٩٩) في الإيمان: باب اختباء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعوة الشفاعة لأمته.

(٢) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٣/ ٧٣).

- من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان أو أدنى من ذلك، حتى لا يبقى في تلك المواقع إلا من حبسه القرآن بالخلود، وهم الكفار. وأما باقي المواقع التي في النار فستترك لشفاعة آخرين سيأتون من بعده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم الملائكة والأنبياء والشهداء وصالح المؤمنين وبعض الأعمال الصالحة، كما سيتبين ذلك في الباب الثاني من الكتاب بإذن الله تعالى.

روى قتادة عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقولون: لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا، فيأتون أدم فيقولون: أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من رُوحه، وأمر الملائكة بالسجود لك، فاشفع لنا عند ربك، فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته، ويقول: ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله. فيأتونه، فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته، ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلا. فيأتونه، فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته، ائتوا موسى الذي كلمه الله. فيأتونه، فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته، ائتوا عيسى. فيأتونه، فيقول: لست هناكم، ائتوا محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. فيأتوني، فأستأذن على ربي، فإذا رأيته وقعت له ساجدا، فيدعُني ما شاء الله، ثم يقال لي: ارفع رأسك، وسل تعطه، وقل يسمع، واشفع تُشَفَّع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بمحامد يعلمني، ثم أشفع فيحد لي، ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجدا مثله في الثالثة أو الرابعة، حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن**»، وكان قتادة يقول عند هذا: أي وجب عليه الخلود[1].

(١) سبق تخريجه في الحاشية رقم (٦٣).

قال الطيبي في معنى قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فيحد لي حدا**» قال: يريد أنَّه يبين لي في كل طور من أطوار الشفاعة حدًا أقف عنده فلا أتعداه، مثل أنْ يقول: شفَّعتك فيمن أخلَّ بالجماعات ثم يقول شفعتك فيمن أخل بالصلوات ومثله فيمن شرب الخمر ثم فيمن زنى وعلى هذا ليريه علو الشفاعة في عظم الذنب على ما فيه من الشفاعة) اهـ[1].

وروى أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدثنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض، فيأتون آدم فيقولون له: اشفع لذريتك، فيقول لست لها ولكن عليكم بإبراهيم** عَلَيْهِ السَّلَامُ **فإنه خليل الله، فيأتون إبراهيم فيقول لست لها ولكن عليكم بموسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ **فإنه كليم الله فيؤتى موسى فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ **فإنه روح الله وكلمته، فيؤتى عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فأوتى، فأقول أنا لها، فأنطلق فاستأذن على ربي، فيؤذن لي فأقوم بين يديه، فأحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن يلهمنيه الله، ثم أَخِّر له ساجدا فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تُشفَّعْ. فأقول: ربِّ أمتي أمتي، فيقال: انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبةٍ من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل، ثم أرجع إلى ربي، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخِرُّ له ساجدا، فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقل تسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: أمتي أمتي، فيقال لي: انطلق، فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها، فانطلق فأفعل، ثم أعود إلى ربي أحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدا، فيقال لي: يا محمد ارفع**

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى الكاشف عن حقائق السنن (١٠/ ١٩٤) ونقله ابن حجر العسقلاني بشيء من التصرف في كتابه فتح الباري (١١/ ٤٤٦).

رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تُشفَّع، فأقول يا رب أمتي أمتي، فيقال لي: انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى [مكرر ثلاث مرات] من مثقال حبة من خردل من إيمان، فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل»[(١)].

فهذا الحديث العظيم ينبغي أنْ لا يكون مُفَتِّرًا لنا عن الإكثار من الأعمال الصالحة، كما ويجب أنْ يكون دافعا لنا على دعوة الناس إلى الإسلام وإدخالهم فيه، ولو قَّصروا بعد ذلك في العمل، أو أصرُّوا على الكبائر، فالمهم أنْ لا يخلدوا في النار.

إن هذا الحديث يستحث الدعاة إلى الله ممن وفقهم الله تعالى في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، أنْ لا يحرصوا في دعوتهم على انتقاء الأفراد الأذكياء والنشطين فقط لدعوتهم إلى الإسلام، ليقوموا بدورهم في دعوة بني جنسهم، وإنما يحرصوا أيضا على انتقاء الناس كَمًّا ونَوعا. لأن المهم أنْ ننقذ أكبر عدد ممكن من إخواننا في الإنسانية من الخلود في النار، وإن لم يقدموا شيئا للإسلام. فالإسلام غني عنهم وهم فقراء إليه، وإلا ماذا تعلل أخي القارئ دعوة رسول الله ﷺ لغلام يهودي إلى الإسلام رآه على فراش الموت، وهو يعلم أنه لن ينفع الإسلام والمسلمين بشيء، ومع ذلك فلم يتركه رسول الله ﷺ وإنما دعاه إلى الإيمان، فالتفت الغلام إلى أبيه وكأنه يستأذنه، فقال له أبوه: أطع أبا القاسم، فنطق بالشهادتين، ثم لفظ نفسه الأخير ومات، ففرح رسول الله ﷺ بأن الله أنقذ هذا الغلام بسببه[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٧٥١٠) في التوحيد: باب كلام الرب عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة مع أنبيائه وغيرهم، ومسلم واللفظ له (١٩٣) في الإيمان: باب الشفاعة (٣/ ٦٢).

(٢) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال: «**أسلم**». فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال: أطع أبا لقاسم، فاسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**». =

لذلك فاعلم بأن من مات على الإسلام مهما قل عمله الصالح سيخرج من النار بفضل من الله تعالى ولا يخلد فيها. فإن كان له قليل عمل وأوبق نفسه بالمعاصي غير المكفرة فإنه سيخرج بشفاعة الشافعين، وإن لم يكن له نصيب من عمل صالح ألبته فإنه سيكون من أواخر الخارجين من النار الذين سيخرجهم أرحم الراحمين دون شفاعة لمجرد إيمانهم بالله عَزَّوَجَلَّ لما يحملونه من كلمة التوحيد في قلبوهم. لذلك فإذا شفع الشفعاء قال الله عَزَّوَجَلَّ: «**شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرجهم منها، قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حُمَما** [(١)] **....الخ**» [(٢)].

فبادر أخي المسلم إلى إخوانك في الإنسانية من غير المسلمين، وأنقذهم قبل أنْ يوافيهم الأجل، ليكونوا إخوانك في الدين، فإنك تحمل أعظم حقيقية في هذا الوجود، وهي معرفتك لله ولدين الله، وأن الله لن يقبل من الناس إلا الإسلام، وأن الله سيبعث هذا الخلق بعد موتهم من جديد ليحاسبهم، فيثيب مطيعهم بالجنة، ويعاقب مسيئهم بالنار، ولا منزلة في الآخرة غير هاتين المنزلتين.

= [رواه البخاري في الجنائز واللفظ له (١٣٥٦): باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ وباب هل يعرض على الصبي الإسلام؟، وفي المرض (٥٦٥٧): باب عيادة المشرك، وأبو داود (٣٠٧٩) في الجنائز: باب في عيادة الذمي].

(١) **حُمَما**: جمع حممة، وهي الفحمة. [جامع الأصول في أحاديث الأصول للجزري (١٠/ ٤٥٥)].

(٢) رواه أحمد -الفتح الرباني- (٢٤/ ٢٠٨) أبواب ذكر النار والجنة وما جاء فيهما باب في رؤية المؤمنين ربهم عَزَّوَجَلَّ في الجنة، والبخاري (٧٤٣٩) في التوحيد باب: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، ومسلم واللفظ له (١٨٣) في الإيمان باب معرفة طريق الرؤية، والنسائي (٨/ ١١٣/ ح ٥٠٢٥) في الإيمان باب زيادة الإيمان، وابن خزيمة (٤٣٠ و٤٦٤) في كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ.

هذه الحقيقة التي غابت عن الملايين من البشر ولُبِّست على الكثير منهم، قد أكرمك الله جَلَّوَعَلَا لتعرفها، وتؤمن بها فتستقر في قلبك منذ نعومة أظفارك، فأد شكرها وزكاتها، بأن تدعو من حولك من غير المسلمين إلى الإسلام، ولئن يهدي الله بك رجلا واحدا من هؤلاء، خير لك من الدنيا وما فيها.

روى سهل بن سعد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال لعلي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في غزوة خيبر: «**فوالله لأن يهديَ الله بك رجلا واحدًا، خيرٌ لك من أنْ يكون لك حُمُرُ النَّعم**»(١).

فبعد أن علمنا أن الشفاعة غير العامة ستكون يوم القيامة للموحدين من هذه الأمة يأتي السؤال الآخر: فهل ستكون شفاعته صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للمتقين أم هي خاصة للمذنبين أم هي لهما جميعا؟

روى أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة**»(٢). وفي رواية للترمذي عن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا مثله وزاد فيه: قال الراوي: فقال لي جابر: يا محمد من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة اهـ(٣).

قال المباركفوري في شرح قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**شفاعتي**» قال المناوي في التيسير: الإضافة بمعنى أل العهدية، أي الشفاعة التي وعدني الله بها ادخرتها، «**لأهل الكبائر**

(١) رواه البخاري واللفظ له (٣٧٠١) في فضائل الصحابة: باب مناقب علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وراه مسلم (٢٤٠٦) في فضائل الصحابة: باب فضائل علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) سبق تخريجه في حاشية رقم (٥٩).

(٣) رواه الترمذي (٢٥٥٣) في صفة القيامة: باب ما جاء في الشفاعة وقال هذا حديث غريب من هذا الوجه، وحسن إسناده الأرناؤوط في تخريجه جامع الأصول لابن الأثير (١٠/ ٤٧٧).

من أمتي» أي لوضع السيئات والعفو عن الكبائر، وأما الشفاعة لرفع الدرجات فلكل من الأتقياء والأولياء، وذلك متفق عليه بين أهل الملة اهـ[١].

وأما قول جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فماله وللشفاعة) قال المباركفوري: يعني لا حاجة له إلى الشفاعة لوضع الكبائر والعفو عنها لعدمها، وأما دون الكبائر من الذنوب فيكفرها الطاعات، نعم له حاجة إلى الشفاعة لرفع الدرجات اهـ[٢].

وقال السندي في شرح قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**» أي هم المحتاجون إليها أشد الحاجة، المنتفعون بها أزيد الانتفاع.

وقال الطيبي: معنى هذا الحديث أنَّ شفاعتي التي تنجي الهالكين مختصة بأهل الكبائر، قلت: وبالجملة فالشفاعة تعم أهل الكبائر وغيرهم حتى أهل الطاعات في رفع الدرجات اهـ[٣].

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خيّرت بين الشفاعة وبين أنْ يدخل نصف أمتي الجنة فاخترت الشفاعة، لأنها أعم وأكفى، أترونها للمتقين؟ لا ولكنها للمذنبين الخطاءين المتلوثين**»[٤]. قال السندي في شرح قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أترونها**» فقال: أي: تلك الشفاعة التي خيرت بينها وبين دخول نصف الأمة الجنة ليست للمتقين، وإنما هي للمذنبين، ويحتمل أنَّ المراد: أترون الشفاعة مخصوصة للمتقين؟ وليس كذلك وإنما هي شاملة للمذنبين اهـ[٥].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي شرح حديث رقم (٢٥٥٢).
(٢) المصدر السابق (٧/ ١٢٩).
(٣) شرح سنن ابن ماجه القزويني لأبي الحسن الحنفي السندي (٢/ ٥٨٣).
(٤) سبق تخريجه في الحاشية رقم ٢٨ واللفظ لابن ماجه.
(٥) شرح سنن ابن ماجه القزويني لأبي الحسن الحنفي السندي (٢/ ٥٨٣).

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلا قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، فقال: «**إنَّ شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»[(١)]، قال البيهقي: ظاهر هذا يوجب أنْ تكون الشفاعة لأهل الكبائر مختص بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون غيره من الملائكة، وأنَّ الملائكة إنما يشفعون في الصغائر وفي استزادة الدرجات... الخ اهـ[(٢)].

وخلاصة قول العلماء في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»:

- أنَّ الشفاعة لا يحظى بها الصالحون فقط وإنما هي أيضا لأهل الكبائر من هذه الأمة.

- أنَّ أهل الكبائر هم أحوج الناس إلى الشفاعة.

- أنَّ الشفاعة لأهل الكبائر لا يختص بها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون غيره من الشفعاء.

ولكن هل يرضيك أخي القارئ أنْ تكون من أهل الكبائر أعاذنا الله من ذلك؟ هل تتمنى أنْ تغشى المعاصي، وتقول لن يخلد أحد من أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما دام موحدا، فيكون مصيرك أنْ تعذب في النار، حتى تكون فحما ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم تنتظر الشفاعة في إخراجك؟ فتنبه لذلك! وكن صاحب همة عالية، مسارعا إلى الخيرات لنيل الدرجات العاليات من الجنة.

---

(١) رواه الحاكم في التفسير (٢/ ٣٨٢) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص وقال على شرط مسلم، ورواه البيهقي وصححه.

(٢) البدور السافرة في أمور الآخرة للسيوطي صفحة (٣٦٣).

الفَصْلُ الثَّالِث

كيف تحظى بشفاعة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

ويتكون من ثلاثة مباحث هي كالتالي:

- المبحث الأول: المُشَفَّعَات القولية.
- المبحث الثاني: المُشَفَّعَات الفعلية.
- المبحث الثالث: المُشَفَّعَات المكانية.

الفصل الثالث

كيف تحظى بشفاعة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

مقدمة

إنَّ النصوص من الكتاب والسُنَّة قد تضافرت على أنَّ ناسا من أهل التوحيد سيدخلون النار لسوء أعمالهم ثم يخرجون منها بعد قضاء مدة الحكم عليهم فيها، وتتفاوت تلك المُدد لتفاوت جرائمهم، والسعيد من يفوز بشفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليكون أول الخارجين من النار إنْ استحقها عياذا بالله؛ إذ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول شافع ومُشفَّع يوم القيامة، بل السعيد قبل ذلك كل السعادة من وُقي شر الكبائر ابتداءً؛ لتصفو شفاعة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له في رفع درجته في الجنة، فإنَّ ذلك من أفضل الشفاعات على الإطلاق بعد الشفاعة لمن لا حساب عليه.

إنَّ انتظار شفاعة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تكون إلا بالاستمساك بأمر الله جلَّ جلاله، وبأمر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس بالأماني والآمال وترك صالح الأعمال.

قال معروف الكرخي رَحِمَهُ اللَّهُ: طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور، وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق اهـ[1].

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني (٨/ ٣٦٧)، وحدائق المتقين (ص ٨٨).

هناك بعض الأعمال المشروعة التي إذا عملناها رجونا الفوز بشفاعة خاصة من شفاعات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي ذكرت في الفصل السابق، وهذه الأعمال يمكن أنْ نجملها في المباحث التالية:

المبحث الأول

المُشَفَّعات القولية

ويقصد بها أدعية مأثورة عن النبي ﷺ من ثابر عليها نال شفاعة من شفاعاته ﷺ، ومن ذلك ما يلي:

أولًا: سؤال الوسيلة لرسول الله ﷺ:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**سلوا الله لي الوسيلة؛ فإنه لا يسألها لي عبد في الدنيا، إلا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة**»(١)، فمن أراد أنْ يحظى بإحدى شفاعات رسول الله ﷺ، فليسأل له الوسيلة، وهي أعلى درجة في الجنة(٢).

ولكن متى نسأل الله تعالى هذه الوسيلة لرسول الله ﷺ؟ وما هي الكيفية والصيغة المرغوبة في ذلك؟

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط وابن أبي شيبة في مصنفه، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٤٧٠٤) وحسنه المناوي في فيض القدير (٤/ ١٠٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٦٣٧).

(٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الوسيلة درجة عند الله، ليس فوقها درجة، فسلوا الله أن يؤتيني الوسيلة**»[رواه أحمد -الفتح الرباني- (٣/ ٣٠) أبواب الأذان: باب ما يقول المستمع عند الأذان والإقامة وبعد الأذان، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣٣٢): رواه أحمد والطبراني في الأوسط وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف اهـ، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٩٦٧٤)، وضعفه المناوي في فيض القدير (٦/ ٣٧٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧١٥١)].

روى جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة**»(١).

ويشير حديث آخر إلى إضافة هامة يغفل عنها كثير من الناس؛ وهي الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل سؤال الوسيلة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جاء ذلك عن عبد الله عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليَّ، فإنه من صلىَّ عليَّ صلاةً صلىَّ الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشَّفَاعَة**»(٢).

إن المتأمل في هذا الدعاء يجد أنه يستحث المؤمنين كل يوم خمس مرات بتذكر المقام المحمود الذي سيقفه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مما يجدر بالمسلم التعرف على هذا المقام المحمود وعلى أنواع الشفاعات التي نسألها خمس مرات كل يوم، كما إن هذا الدعاء كفيل أن يجعلك تستحضر بعض مشاهد يوم القيامة في ذاكرتك، ومتى فعلت ذلك ظهرت آثارها على جوارحك واستقام أمرك وحسن حالك.

---

(١) رواه أحمد -الفتح الرباني- (٣/ ٣١) أبواب الأذان: باب ما يقول المستمع عند سماع الأذان والإقامة وبعد الأذان، والبخاري في الأذان واللفظ له (٦١٤) باب الدعاء عند النداء، وفي تفسير سورة بني إسرائيل (٤٧١٩): باب: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾، وأبو داود (٥٢٥) في الصلاة: باب ما جاء في الدعاء عند الأذان، والترمذي (٢١١) في الصلاة: باب ما يقول الرجل إذا أذن المؤذن من الدعاء، والنسائي (٢/ ٢٧/ حـ ٦٧٩) في الأذان باب الدعاء عند الأذان.

(٢) رواه أحمد -الفتح الرباني- (٣/ ٣٠) أبواب الأذان، باب ما يقول المستمع عند الأذان والإقامة وبعد الأذان، ومسلم واللفظ له (٣٨٤) في الصلاة باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم يسأل له الوسيلة، وأبو داود (٥١٩) في الأذان، باب ما يقول إذا سمع المؤذن.

ولا يعني سؤالنا درجة الوسيلة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أننا نشفع له عند الله تعالى، وإنما حثنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذلك ليؤجرنا لأنه مبلِّغ عن الله تعالى.

قال ابن تيمية: إنَّ الذي سيحرص على قول هذا الدعاء، لا شك أنه سيحرص على سماع المؤذنين طيلة الصلوات الخمس ومتابعتهم، مما يضيف إلى رصيده مزيدًا من الحسنات الهائلة(١).

فيا له من أجر عظيم مقابل عمل قليل يغفل عنه كثير من الناس، فهذا الدعاء لا يحتاج منك إلى طهارة، ولا استقبال قِبلة، ولا بذل مال، ولا جهد عضلي، ولا يكلفك شيئا سوى أنْ تحرِّك لسانك بهذه الدعوات بعد الإصغاء إلى المؤذن ومتابعته.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: استشكل بعضهم جعل ذلك ثوابا لقائل ذلك، مع ما ثبت أنَّ الشفاعة للمذنبين، وأجيب: لأن له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شفاعات أخرى: كإدخال الجنة بغير حساب، وكرفع الدرجات، فيعطى كل أحد ما يناسبه اهـ(٢).

ثانيًا: الصلاة على النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لا شك أنَّ الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من السنن المرغوب الإكثار منها، فهي من أفضل الطاعات وأعظم القربات؛ فإن الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تكفر السيئات، وتكثر الحسنات، وترفع الدرجات، وتستجاب بها الدعوات، وبلغ التحذير مِنْ تَرْك الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه من لم يذكر الله تعالى،

(١) راجع كتابي كيف تطيل عمرك الإنتاجي: فقرة: أن تكون مؤذنا أو تقول كما يقول المؤذن (صفحة ٦٧).

(٢) فتح الباري (٢/ ١١٤)، وراجع المبحث الثاني من الفصل الثاني من هذا الكتاب.

ولم يُصلِّ على النبي ﷺ في كل مجلس يجلسه، تحسَّر على ذلك المجلس يوم القيامة، ولو دخل الجنة، لِما يرى من الثواب الذي فاته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ما قعد قوم مقعدا لا يذكرون الله عز وجل ويصلون على النبي ﷺ إلا كان عليهم حَسْرَة يوم القيامة وإن دخلوا الجنة للثواب**»[(١)].

وتشرع الصلاة على النبي ﷺ في أوقات مطلقة ومقيدة[(٢)]، وأما فيما يخص الصلاة على النبي ﷺ التي ثوابها إحدى شفاعات النبي ﷺ، فتأتي على صورتين: صلاة مطلقة اللفظ مقيدة الزمان، وصلاة مقيدة اللفظ مطلقة الزمان.

(أ) الصلاة المطلقة اللفظ:

وهي الصلاة على النبي ﷺ بكرة وعشيا عشر مرات، فمن جعل له وردا في الصلاة على النبي محمد ﷺ عشر مرات حين يصبح، ومثلها حين يمسي، فاز بإحدى شفاعات النبي ﷺ المذكورة في الفصل السابق، عدا الشفاعة لبدء الحساب وشفاعته في عمه أبي طالب؛ لما رواه أبو الدرداء رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**من صلىَّ عليَّ حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا، أدركته شفاعتي يوم القيامة**»[(٣)].

---

(١) رواه أحمد واللفظ له -الفتح الرباني- (١٩/ ١٦٦) كتاب المجالس وآدابها: باب ما جاء في خير المجالس وشرها، والحاكم وصححه (١/ ٤٩٢) وأقره الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٧٩): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٧٦).

(٢) للاستزادة راجع كتاب جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام لابن قيِّم الجوزية.

(٣) رواه الطبراني، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٢٠): رواه الطبراني بإسنادين وإسناد =

فاجعل هذه الصلاة مع وردك اليومي الذي تقوله بكرة وعشيا، ولا تغفل عنها لتدرك أحد شفاعات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال المناوي في شرح هذا الحديث: أي تدركه شفاعة خاصة غير العامة اهـ[١].

ولك أنْ تُصَلِّي على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأي صيغة كانت، لتنال هذا الثواب، وأما إنْ سألت عن أفضل صيغة، فهي ما علَّمه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه، وجاءت بعدة صيغ وروايات، منها ما رواه عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: ألا أهدي لك هديةً سمعتها من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقلت: بلى فأهدها لي، فقال: سألنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإنَّ الله قد علَّمنا كيف نسلِّم؟ قال: «**قولوا: اللهم صلِّ على محمد، وعلى آل محمد، كما صلَّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيمَ، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد**»[٢].

= أحدهما جيد ورجاله وثقوا، وأشار المناوي في فيض القدير (٦/ ٧٦٩) إلى تحسين السيوطي له ثم قال: قال الحافظ العراقي فيه انقطاع اهـ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٣٥٧).

(١) فيض القدير للمناوي (٦/ ١٦٩).

(٢) رواه البخاري واللفظ له (٣٣٧٠) في أحاديث الأنبياء باب (١٠)، وفي التفسير (٤٧٩٧) باب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ وفي الدعوات (٦٣٥٧) باب الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومسلم (٤٠٦) في الصلاة: باب الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد التشهد، وأبو داود (٩٦٣) في الصلاة: باب الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد التشهد، والترمذي (٣٤٣٧) في التفسير: باب ومن سورة الأحزاب، والنسائي (٣/ ٤٥/ حـ١٢٨٦) في التشهد: باب نوع آخر (٥١).

(ب) الصلاة المقيدة اللفظ:

وهي الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصيغة نبوية محددة اللفظ، يمكن أنْ تقولها في أي وقت شئت، فعن رويفع بن ثابت الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من قال: اللهم صلِّ على محمد، وأنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة، وجبت له شفاعتي**»[(١)].

ألا ترى يا أخي القارئ قِصَر هذه العبارة النبوية، وعظيم جائزتها، وسهولة الفوز بها؟ فلا تغفل إذن عنها.

وطالما أنَّ خير البِرِّ عاجله، فقل هذه الصلاة الآن قبل أنْ تنتقل إلى الفقرة الأخرى، وكررها كي لا تنساها، وإذا لزم الأمر فاكتبها في مفكرة جيبك لتعود إليها باستمرار، إلى أنْ يتعوَّد عليها لسانك فتحفظها عن ظهر قلب.

(١) رواه أحمد – الفتح الرباني – (١٤/ ٣١١) في أبواب الدعاء: باب فضل الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال البنا في الفتح (١٤/ ٣١١): رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط وقال المنذري وبعض أسانيدهم حسن اهـ، ورواه الطبراني في الكبير واللفظ له (٤٤٨٠)، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٦٣) والسيوطي في البدور السافرة في أمور الآخرة (١١٠٨)، وضعفه الألباني في تخريج كاب السُنة لأبي عاصم رقم (٨٢٧)، وحسَّنه الوادعي في كتاب الشفاعة (صفحة ٢٣٥) وقال: لكن الحديث له شواهد يرتقي بها إلى الحسن اهـ.

المبحث الثاني

المُشَفَّعَات الفعلية

والمُشَفِّعَات الفعلية كثيرة، كمثل حفظ أربعين حديثا وصنع المعروف، والتَّحاب في الله، وحب آل البيت وإحياء ما بين الصلاتين، ونظرا لضعف أسانيد هذه الأحاديث اقتصرت على ما صح عن المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأننا متعبدون بما شرع وصح عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقط، وهذا فيه الغنية لنيل الشَّفَاعَة عما اختُلِفَ في صحته فضلا عما لا ينسب إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصلا.

فمن الأحاديث التي صحت عن المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنيل شفاعته في هذا الجانب ما يلي:

الإكثار من النوافل:

لقد رَغَّب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته في الإكثار من النوافل لما فيها من ثواب عظيم عند الله عَزَّوَجَلَّ، فالإكثار من النوافل يضفي للعبد محبة الله له، وإجابة دعائه، وحمايته[(١)]، ويرتفع بكل سجدة درجة عند الله[(٢)]، إضافة إلى أنَّ لكثرة السجود شأن آخر في أمر الشفاعة.

---

(١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي من أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، وإن استعاذ بي أعذته... الحديث**»[رواه البخاري (٦٥٠٢) في الرقاق: باب التواضع].

(٢) عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**عليك بكثرة السجود لله فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة**»[رواه أحمد-الفتح الرباني- (٢/ ٢١٩) في الصلاة: باب فضل طول القيام وكثرة السجود، ومسلم واللفظ له (٤٨٨) في الصلاة: باب فضل السجود والحث عليه، والترمذي (٣٨٦) في أبواب الصلاة: باب ما جاء في كثرة الركوع =

فعن زياد بن أبي زياد مولى بني مخزوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن خادم للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجل أو امرأة قال: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما يقول للخادم: «**ألك حاجة؟**» قال حتى كان ذات يوم، فقال يا رسول الله: حاجتي، قال وما حاجتك؟ قال حاجتي أنْ تشفع لي يوم القيامة، قال ومن دلك على هذا؟ قال ربي، قال: «**إمَّا لا** (أي إنْ كان لا بد) **فأعنِّي بكثرة السجود**»[(١)].

تأمل رحمك الله تعالى، كيف أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يقل له: سأشفع لك، وإنما كلَّفه بعمل يتقرب به إلى الله عَزَّوَجَلَّ لينال شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لندرك بأن الشفاعة لا تنال بالأماني ولا تأتي من فراغ، وإنما تكون بأعمال صالحة قولية وفعليه ارتضاها لنا المشرع جَلَّ في عُلاه.

قد يتمنى كل منا أنه أدرك صحبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول: ليتنا كنا مع أولئك الصحابة الذين سعدوا بلقاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واكتحلت أعينهم

= والسجود وقال حديث حسن صحيح (٢/ ٣٩٧)، والنسائي (٢/ ٢٢٨/ ح١١٣٨) في التطبيق: باب ثواب من سجد لله عَزَّوَجَلَّ سجدة، وابن ماجه عن عبادة بن الصامت في كتاب إقامة الصلاة: باب ما جاء في كثرة السجود (١/ ٤٣٥) بلفظ «**ما من عبد يسجد لله سجدة إلا كتب الله له بها حسنة، ومحا عنه بها سيئة، ورفع له بها درجة، فاستكثروا من السجود**» ضعف هذا اللفظ السندي في شرحه على سنن ابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٣٨٢).

(١) رواه أحمد واللفظ له- الفتح الرباني - (٢/ ٢١٩) و(٢٤/ ١٣٢) في الصلاة: باب كثرة السجود وسيلة إلى شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال البنا: لم أقف عليه بهذا اللفظ وله شاهد عند مسلم وأبو داود اهـ، وذكر ابن الجوزي في صفة الصفوة (١/ ٢٩٢) قصة تشبه هذه وذكر فيها اسم ذلك الخادم وهو ربيعة بن كعب الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الوادعي في كتاب الشفاعة (صفحة ٢٤٩): قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٤٩) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح اهـ.

برؤيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فطلبوا منه ما يشتهون من أمر الدنيا والآخرة، فدعا لهم رسول الهدى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحقق الله أمانيهم.

ولكن اعلم أخي القارئ الكريم، أنَّ بعض التابعين جالت في نفوسهم مثل هذه الأماني، وقالوا مثل هذا الكلام للصحابي الجليل المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فماذا رد عليهم؟

روى جبير بن نفير رَحِمَهُ اللَّهُ قال: جلسنا إلى المقداد بن الأسود يوما، فمر به رجل فقال: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله لوددنا أنا رأينا ما رأيت وشهدنا ما شهدت، فاستُغضِب، فجعلت أعجب، ما قال إلا خيرا! ثم أقبل عليه فقال: ما يحمل الرجل على أن يتمنى محضرا غيَّبه الله عنه؟ لا يدري لو شهده كيف يكون فيه؟ والله لقد حضر رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقوام كبهم الله على مناخرهم في جهنم، لم يجيبوه ولم يصدقوه، أَوَلا تحمدون الله عَزَّوَجَلَّ؛ إذ أخرجكم لا تعرفون إلا ربكم، فتصدقون بما جاء به نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قد كفيتم البلاء بغيركم... الخ اهـ[1].

(١) رواه أحمد -الفتح الرباني- (١/ ١٠٦) في التوحيد باب في الإيمان بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفضل من آمن به، وقال البنا في الفتح الرباني (١/ ١٠٧): لم أقف عليه في غير الكتاب وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره وعزاه للإمام أحمد فقط وقال: إسناده صحيح ولم يخرجوه اهـ، ورواه البخاري في الأدب المفرد واللفظ له في باب الولد قرة العين، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد رقم (٦٤)، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (١/ ١٧٧).

ثم اعلم ـ وفقك لطاعته ـ أنه بإمكانك أنْ تسعد بالشفاعة التي طلبها خادم رسول الله ﷺ بأنْ تعمل بوصية رسول الله ﷺ العامة لكل مسلم، فتكثر من السجود، الذي يعني بطبيعة الحال الإكثار من النوافل [١].

ثم اعلم أيضا أنك باستمساكك بدينك مع وجود الفتن والمغريات التي قد تحيط بك من كل جانب، فإن رصيدك وثوابك سيرتفع إلى مثل أجر خمسين صحابيا من صحابة رسول الله ﷺ، روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ مِنْ وراءكم زمان صبر، للمتمسك فيه أجر خمسين شهيدًا منكم**»[٢].

(١) راجع كتابي كيف تحظى بدعاء النبي ﷺ.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٠٣٩٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٨٢): رواه البزار والطبراني بنحوه ورجال البزار رجال الصحيح غير سهل بن عامر البجلي وثقه ابن حبان اهـ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٢٣٤).

المبحث الثالث

المُشَفَّعات المكانية

ويقصد بها شفاعته ﷺ لأهل بلد مخصوصين، أو لمن أقام في بلد معين، أو كشد الرحال إلى قبر النبي ﷺ، أو سكنى الطائف ومكة المكرمة والمدينة المنورة، ونظرا لضعف معظم هذه الأحاديث، أكتفي بذكر الصحيح الوارد من المُشَفَّعَات المكانية فهي خير البضاعة لنيل الشفاعة وهي:

طلب الموت في المدينة المنورة:

إنَّ سُكنى المدينة المنورة أمنيةُ الكثير من المسلمين في شتى أقطار العالم، خاصة أولئك الذين يقطنون خارج الجزيرة العربية؛ نظرا لما حباها الله من فضائل، فبعد أنْ هاجر رسول الله ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، استقر فيها حتى بعد فتح مكة إلى أنْ توفاه أرحم الراحمين، وقد منح رسول الله ﷺ لِسُكَّان المدينة المنورة مزايا وفضائل لا توجد لأهل مدينة أخرى[(١)]؛ فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من استطاع أنْ يموت بالمدينة، فليمت بها؛ فإني أشفع لمن يموت بها**»[(٢)]؛ أي: من قدر أنْ يقيم في المدينة

(١) للاستزادة انظر مجمع الزوائد للهيثمي (٣/ ٢٩٩) وجامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير الجزري (٩/ ٣٠٤).

(٢) رواه أحمد -الفتح الرباني- (٢٣/ ٢٥٩) في الفضائل: باب فضل سكن المدينة، والترمذي واللفظ له (٤١٧٤) في المناقب: باب ما جاء في فضل المدينة وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث أيوب السختياني، وابن ماجه (٢/ ٢٦٧) في المناسك: باب فضل المدينة، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٨٤٠٤) ووافقه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٠١٥).

المنورة حتى يدركه الموت فليفعل، وهذا حثٌ على الإقامة في المدينة المنورة؛ لأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيخصه بشفاعة خاصة غير العامة، زيادة في الكرامة.

قال المناوي: قال بعض أهل العلم: إنَّ الحديث فيه بشرى للساكن بالمدينة بالموت على الإسلام، لاختصاص الشفاعة بالمسلمين، وكفى بها مزية، فكل من مات فيها فهو مُبَشر بذلك إنْ شاء الله اهـ[١].

ثم اعلم بأن هذا الفضل خاص للمسلمين من أهل السنة والجماعة فقط؛ وذلك لاشتراط رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك في الرواية التي جاءت عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لا يصبر أحد على لأوائها فيموت إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة إذا كان مسلما**»[٢].

وعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إني أُحرِّم ما بين لابتي المدينة أنْ يقطع عضاها أو يقتل صيدها، وقال: المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، لا يدعها أحدٌ رغبةً عنها إلا أبدل الله فيها مَنْ هو خيرٌ منه، ولا يثبتُ أحدٌ على لأوائها وجَهْدِها إلا كنتُ له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة**»[٣].

---

(١) فيض القدير للمناوي (٦/ ٥٣).

(٢) رواه أحمد -الفتح الرباني- (٢٣/ ٢٦١) في الفضائل: باب فضل سكنى المدينة، ومسلم واللفظ له (١٣٧٤) في الحج: باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها (٩/ ١٥٧)، ومالك في الموطأ (٢/ ٨٨٥) في الجامع باب ما جاء في سُكنى المدينة والخروج منها.

(٣) رواه أحمد -الفتح الرباني- (٢٣/ ٢٥٨) في الفضائل: أبواب فضائل الأمكنة الباب الثالث في فضل سكنى المدينة والصبر على لأوائها وكراهة الخروج منها رغبة عنها وأنها تنفي الخبيث عنها، ورواه مسلم واللفظ له (١٣٦٣) في الحج: باب فضل المدينة ودعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها بالبركة وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها وبيان حدود حرمها.

قال النووي عن كلمة «أو» في قوله ﷺ: «**شفيعا أو شهيدا**»: الأظهر أنها ليست للشك؛ لأن الحديث رواه جابر بن عبد الله وسعد بن أبي وقاص وابن عمر وأبو سعيد وأبو هريرة وأسماء بنت عميس وصفية بنت أبي عبيد عن النبي ﷺ بهذا اللفظ ويبعد اتفاقهم جميعا أو رواتهم على الشك وتطابقهم فيه على صيغة واحدة، بل الأظهر أنه قاله ﷺ هكذا فإما أنْ يكون أعلم بهذه الجملة هكذا، وإما أنْ يكون «أو» للتقسيم ويكون شهيدا لبعض أهل المدينة وشفيعا لبقيتهم، إما شفيعا للعاصين وشهيدا للمطيعين، وإما شهيدا لمن مات في حياته وشفيعا لمن مات بعده، أو غير ذلك.

قال القاضي عياض هذه خصوصية زائدة على الشفاعة للمذنبين أو للعاملين في القيمة وعلى شهادته على جميع الأمة، وقد قال ﷺ في شهداء أُحد: «**أنا شهيد على هؤلاء**» فيكون لتخصيصهم بهذا كله مزيد أو زيادة منزلة وحظوة، قال وقد يكون «أو» بمعنى: الواو، فيكون لأهل المدينة شفيعا وشهيدا، قال وقد روى: «**إلا كنت له شهيدا أو له شفيعا**» قال: وإذا جعلنا «أو» للشك كما قال المشايخ فإنْ كانت اللفظة الصحيحة شهيدا اندفع الاعتراض لأنها زائدة على الشفاعة المدخرة المجردة لغيرهم، وإنْ كانت اللفظة الصحيحة شفيعا فاختصاص أهل المدينة بهذا مع ما جاء من عمومها وادخارها لجميع الأمة أنَّ هذه شفاعة أخرى غير العامة التي هي لإخراج أمته من النار ومعافاة بعضهم منها بشفاعته ﷺ في القيامة وتكون هذه الشفاعة لأهل المدينة بزيادة الدرجات أو تخفيف الحساب أو بما شاء الله من ذلك أو بإكرامهم يوم القيامة

بأنواع من الكرامة،كإيوائهم إلى ظل العرش أو كونهم في روح وعلى منابر أو الإسراع بهم إلى الجنة أو غير ذلك من خصوص الكرامات الواردة لبعضهم دون بعض والله أعلم اهـ.[١].

فما أجمل أن يقطن المرء المسلم في تلك الديار المقدسة؛ ليودع الدنيا وهو في حرم الله، وبالأخص مدينة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ليحظى بحسن الختام وشفاعة خير الأنام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٩/ ١٤٤).

الفصل الرابع

المسلمون المحرومون من شفاعة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

المبحث الأول

المسلمون المحرومون من شفاعة النبي محمد ﷺ

ويقصد بذلك من يحرم من إحدى أو معظم شفاعات النبي ﷺ المذكورة في الفصل الثاني من الكتاب، عدا الشفاعة الكبرى لبدء الحساب، فهي عامة لجميع الناس، ولا يحرم من شفاعة النبي ﷺ الخاصة إلا فئة من عصاة هذه الأمة ارتكبوا بعض الذنوب، ولا يعني هذا أنهم سيحرمون من شفاعة الشفعاء الآخرين.

يوجد العديد من الأحاديث التي تفيد حرمان طوائف من الناس شفاعة النبي ﷺ كمثل مَنْ غَشَّ العرب، وصاحب البدعة، ومن شتمه صحابي، ومن كذَّب بولاية علي رضي الله عنه، والمرجئة، والقدرية، وموالات بني العباس، والمراء، ومن نكث ذمة رسول الله ﷺ، ونظرا لضعف أسانيد هذه الأحاديث اكتفيت بذكر ما صح عن النبي ﷺ، فحري بنا أنْ نتعرف على هذه الذنوب لنتَّقيها، مما صح من الأحاديث النبوية الشريفة، لئلا نكون من المحرومين من شفاعات نبينا محمد ﷺ ونحن لا نعلم، وهي كالتالي:

١ - الكذب بالشَّفاعة:

فمن أنكر الشَّفَاعَة فليس له نصيب منها، كما هو حال كثير من الفِرق الإسلامية الضالة كالخوارج وغيرها، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «من كذب بالشَّفَاعَة فلا نصيب له فيها»[(١)].

(١) رواه سعيد بن منصور بسند صحيح، وصحح إسناده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري (١١/ ٤٣٤).

٢ -الحاكم الظالم وكل غال في الدين مبتدع فيه:

عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**صنفان من أمتي لن تنالهما شفاعتي: إمام ظلوم غشوم، وكل غال مارق**»(١).

(أ) الحاكم الظالم:

لا شك أنه لا ظلم أعظم للعباد من ظلم الحاكم الذي لا يحكم شعبه المسلم بشرع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قال الله عَزَّوَجَلَّ عن أمثال أولئك: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥].

وإن أشد أنواع الظلم: الشرك بالله تعالى، فإنَّ عددًا من مجتمعات العالم الإسلامي تعج فيها معابد الشرك -كالطواف على الأضرحة- وكبائر المحرمات التي تنتهك جهارا نهارا، حتى استباحها الناس، ولم تقم تلك الدول بواجبها نحو دينها لمحو تلك المظاهر، وإنقاذ المسلمين من هذه الردة، ألا فليبشر هذا الصنف من الولاة بحرمانه من شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما حرم شعبه المسلم من تحكيم شرع الله تعالى في شتى ميادين الحياة.

لقد أنذر المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الصنف من الحكام بعدم دخول الجنة مع أول الداخلين فيها، حيث روى معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما من والٍ يلي رعية من المسلمين، فيموت وهو غاش لهم، إلا**

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٨٠٧٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٣٥) رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجال الكبير ثقات، وضعفه السيوطي في الجامع الصغير (٥٠٤٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصيحة رقم (٤٧٠).
قال المناوي في فيض القدير (٤/ ٢٠٨): **الغشوم:** هو جاف غليظ قاس القلب ذو عنف وشدة، **الغالي:** من الغلو وهو تعدي الحدود وتجاوزه، المارق: هو الخروج من الدين.

حرم الله عليه الجنة»[١] وفي رواية أخرى أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ما من أمير يلي أمر المسلمين، ثم لم يجهد لهم** (أي يبذل طاقته لهم) **وينصح، إلا لم يدخل معهم الجنة**»[٢].

والحمد لله الذي سلَّم بلادنا المملكة العربية السعودية من كل مظاهر الشرك والعبودية لغير الله تعالى، وجزى الله خيرًا حكامنا خير الجزاء على محاربة كل مظاهر الشرك بالله تعالى.

(ب) الغلو في الدين:

الغلو في الدين يقصد به: الابتداع في الدين والزيادة بما ليس منه.

ومن أمثلة ذلك: تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرمه الله عَزَّوَجَلَّ، أو التشديد في غير محله، وتحويل السنن إلى واجبات، وتكفير الناس على بعض المعاصي غير المكفرة ونحو ذلك، وأما الاستمساك بما قال الله جل جلاله، وبما قاله رسول الله ﷺ فليس هذا تشددا وغلوا، وإنما هو طاعة والتزام، والمطلوب هو الوسطية التي ارتضاها الله تعالى لعباده، فلا إفراط ولا تفريط.

(١) رواه البخاري واللفظ له (٧١٥١) في الأحكام باب من استرعى رعية فلم ينصح، ومسلم (١٤٢) في الإيمان باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار.

(٢) رواه مسلم (١٤٢) في الإيمان باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار.

المبحث الثاني

هل هؤلاء محرومون من شفاعة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وردت عدة أحاديث في كبائر الذنوب ظاهرها ومفهومها حرمان مرتكبيها من شفاعة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو شفاعة غيره من الشفعاء لما تضمنته هذه الأحاديث من وعيد شديد: كغضب الله عليهم، أو عدم النظر إليهم، أو حرمانهم من دخول الجنة، أو أنْ يكون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خصيمهم وحجيجهم يوم القيامة، أو نفي الإيمان منهم، أو لعنهم وطردهم من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ، وأنَّ هذه الأحاديث وأمثالها مما استدل بها المعتزلة في إنكار الشفاعة لأهل الكبائر إيمانا منهم بأنَّ من حرَّم الله عليه الجنة، لن تنفعه شفاعة الشافعين، وأن من غضب الله عليه فلن يرضى عنه وبالتالي لن يأذن لأحد أن يشفع له، وأنَّ صاحب الكبيرة على هذا الأساس مخلد في النار عياذا بالله.

فهل أصحاب هذه الذنوب يحرمون من الشفاعة؟ وما هو معتقد أهل السنة والجماعة في مثل هذه الأحاديث؟ هذا ما سيتطرق إليه هذا المبحث باختصار.

١ - الابتداء:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج المقبرة فقال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أني قد رأيت إخواننا**، فقالوا: يا رسول الله، ألسنا بإخوانك؟ قال: **بل أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد وأنا فرطهم على الحوض**، فقالوا: يا رسول الله، كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك؟ قال: **أرأيت لو كان لرجل خيل غر محجلة في خيل دهم**

بُهْم، ألا يعرف خيله؟! قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **فإنهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض، فلا يذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم: ألا هلم ألا هلم ألا هلم، فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: فسحقا فسحقا فسحقا»**[(١)].

ذكر الرازي بأن الخوارج استدلوا بهذا الخبر على نفي الشفاعة من أنَّه لو كان شفيعا لهم لم يكن يقول «**فسحقا فسحقا**»؛ لأن الشفيع لا يقول ذلك، وكيف يجوز أنْ يكون شفيعا لهم في الخلاص من العقاب الدائم وهو يمنعهم شربة ماء؟[(٢)].

وقال النووي: قال القاضي عياض هذا دليل لصحة تأويل من تأول أنهم أهل الردة، ولهذا قال فيهم: «**فسحقا فسحقا**»، ولا يقول ذلك في مذنبي الأمة بل يشفع لهم ويهتم لأمرهم، قال: وقيل: هؤلاء صنفان:

أحدهما: عصاة مرتدون عن الاستقامة لا عن الإسلام، وهؤلاء مبدلون للأعمال الصالحة بالسيئة.

والثاني: مرتدون إلى الكفر حقيقة ناكصون على أعقابهم، واسم التبديل يشمل الصنفين» اهـ[(٣)].

٢- إعانة الأمراء الظلمة على ظلمهم:

روى كعب بن عجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أعيذك بالله يا كعب بن عجرة من أمراء يكونون من بعدي، فمن غشي أبوابهم فصدَّقهم**

(١) رواه مسلم (٢٤٩) في الطهارة باب استحباب اطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، والموطأ واللفظ له (١/ ٢٨) في الطهارة باب جامع الوضوء، والنسائي (١/ ٩٤/ حـ١٥٠).
(٢) التفسير الكبير للرازي (٣/ ٥٥) عند تفسير الآية ٤٨ من سورة البقرة.
(٣) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (١٥/ ٧١).

في كذبهم وأعانهم على ظلمهم، فليس مني ولست منه، ولا يرد عليَّ الحوض، ومن غشي أبوابهم أو لم يغش ولم يُصدِّقهم في كذبه ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وسيرد عليَّ الحوض، يا كعب بن عجرة: الصلاة برهان، والصوم جُنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يُطفئ الماء النار، يا كعب بن عجرة: إنَّه لا يربو لحمٌ نبت من سُحتٍ إلا كانت النار أولى به»[(١)].

قال الرازي: والاستدلال بهذا الحديث [أي عند الخوارج] في نفي الشفاعة عنهم من ثلاثة أوجه: أنَّه إذا لم يكن من النبي ﷺ ولا النبي ﷺ منه فكيف يشفع له؟ وثانيها قوله: «**لم يرد عليَّ الحوض**» دليل على نفي الشفاعة؛ لأنه إذا مُنع من الوصول إلى الرسول حتى لا يرد عليه الحوض فبأن يمتنع الرسول من خلاصه من العقاب أولى، وثالثها أنَّ قوله: «**لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت**» صريح في أنَّه لا أثر للشفاعة في حق صاحب الكبيرة اهـ[(٢)].

٣- أخذ الغلول:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلولَ فعظَّمه وعظَّم أمره ثم قال: «**لا أُلفِين أحدَكم يجيءُ يومَ القيامة على رقبته بعيرٌ له رغاءٌ يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك، لا أُلفِين أحدَكم يجيءُ يومَ القيامة على رقبته فرسٌ له حمحمةٌ فيقول: يا رسول**

(١) رواه الترمذي واللفظ له (٦١٤) في الصلاة باب ما ذكر في فضل الصلاة، والنسائي (٧/ ١٦٠/ ح ٤٢١٨) في البيعة باب لمن أعان أميرا على الظلم وباب من لم يعن أميرا على الظلم، ورواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٢٢) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الأرناؤوط في تخريجه جامع الأصول لابن الأثير (٤/ ٧٦)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٥٠١).

(٢) التفسير الكبير للرازي (٣/ ٥٥).

الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك، لا أُلفِين أحدَكم يجيءُ يومَ القيامة على رقبته شاةٌ لها ثغاءٌ يقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك، لا أُلفِين أحدَكم يجيءُ يومَ القيامة على رقبته نفْسٌ لها صياح فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك، لا أُلفِين أحدَكم يجيءُ يومَ القيامة على رقبته رِقاعٌ تخفِقُ فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك، لا أُلفِين أحدَكم يجيءُ يومَ القيامة على رقبته صامتٌ (أي ذهب وفضة) **فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك»**[(١)].

والرِقاع جمع رقعة وهي ما تكتب فيه الحقوق، وتخفق؛ أي: تتحرك إذا حركتها الرياح وقيل تلمع.

فإذا كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يملك له من الله شيئا ألا يظهر أن آخذ الغلول ليس له نصيب من شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

قال النووي في شرحه على صحيح مسلم عند قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا أملك لك شيئا**» قال: قال القاضي معناه من المغفرة والشفاعة إلا بإذن الله تعالى، قال: ويكون ذلك أولا غضبا عليه لمخالفته ثم يشفع في جميع الموحدين بعد ذلك كما سبق في كتاب الإيمان في شفاعات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... الخ اهـ[(٢)].

---

(١) رواه أحمد -الفتح الرباني- (١٤/ ٩١) في الجهاد، باب تحريم الغلول والتشديد فيه وتحريق متاع الغال وما جاء في النهبى، والبخاري (٣٠٧٣) في الجهاد والسير باب الغلول وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ﴾، ومسلم واللفظ له (١٨٣١) في الإمارة باب غلظ تحريم الغلول، وابن حبان في صحيحه.

(٢) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (١٢/ ٤٥٨)، ونقل مثل ذلك ابن حجر في الفتح (٦/ ٢١٥).

تأمل أخي المسلم كيف أن رسول الله ﷺ لا يملك لأقرب أقاربه يوم القيامة من الله من شيء، فكيف يستسيغ القبوريون لأنفسهم الاستغاثة برسول الله ﷺ عند قبره الشريف أو بالأولياء المزعومين؟ فلا شك أن عملهم هذا يقدح في جناب التوحيد ويبتعد عن المنهج الحنيف الذي سار عليه سلف هذه الأمة؛ ولهذا جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد مناف اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئا، يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا**»[(١)].

٤- الحلف بالله على عهد ثم نقضه، وبيع الحر، وعدم إعطاء الأجير أجره:

روى أبو هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**قال الله: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يوفه أجرته**»[(٢)].

والاستدلال به كما قال الرازي: أنَّه عليه الصلاة والسلام لما كان خصيما لهؤلاء استحال أنْ يكون شفيعا لهم اهـ[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٤٤٩٣) في تفسير سورة الشعراء باب: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، ومسلم (٢٠٤) في الإيمان باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، والترمذي (٣١٨٤) في التفسير باب ومن سورة الشعراء، والنسائي (٣٦٤٨) في الوصايا باب إذا أوصى لعشيرته الأقربين، وابن حبان في صحيحه.

(٢) رواه البخاري (٢٢٢٧) و(٢٢٧٠) في البيوع باب إثم من باع حرا، وفي باب إثم من منع أجر الأجير.

(٣) التفسير الكبير للرازي (٣/ ٥٥).

وأما رد الرازي على الإشكال الوارد في الأحاديث الأربعة السابقة فقد قال: وأما الأحاديث فهي دالة على أنَّ محمدا ﷺ لا يشفع لبعض الناس ولا يشفع في بعض مواطن القيامة، وذلك لا يدل على أنَّه لا يشفع لأحد ألبتة من أصحاب الكبائر ولا أنَّه يمتنع من الشَّفَاعَة في جميع المواطن، والذي نحققه أنَّه تعالى بيَّن أنَّ أحدا من الشافعين لا يشفع إلا بإذن الله، فلعل الرسول لم يكن مأذونا في بعض المواطن وبعض الأوقات فلا يشفع في ذلك المكان ولا في ذلك الزمان ثم يصير مأذونا في موضع آخر وفي وقت آخر في الشَّفَاعَة فيشفع هناك والله أعلم اهـ[١].

٥- فيمن أَمَّنه أحد على دمه فقتله:

روى عمرو بن الحمق رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أيما مؤمن أمن مؤمنا على دمه فقتله، فأنا من القاتل بريء**»، وفي رواية للطبراني قال ﷺ: «**مَنْ أمَّن رجلا على دمه فقتله، فأنا بريءٌ من القاتل، وإنْ كان المقتول كافرا**»[٢].

٦- ظُلم الذمي:

عن صفوان بن سُليم أخبره عن عدة من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ عن آبائهم دِنية [أي لاصقي النسب] عن رسول الله ﷺ قال: «**ألا من ظَلَمَ مُعاهدا أو انتقصه أو كلَّفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير**

---

(١) المرجع السابق (٣/ ٦٢).

(٢) رواه أحمد واللفظ له -الفتح الرباني- (١٩/ ٢٣٤) في كتاب الكبائر وأنواع أخرى، باب الترهيب من الغدر ونقض العهد، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٨٥): رواه الطبراني بأسانيد كثيرة وأحدهما رجاله ثقات اهـ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٤٠) وقال: رواه النسائي في الكبرى والبخاري في التاريخ وابن ماجه والطحاوي وأحمد والخرائطي.

طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة»[١]، والسؤال هنا أن من كان رسول الله ﷺ حجيجه هل يُتوقع أنْ يشفع له يوم القيامة؟

٧- العاق والمنان والمكذب بالقدر:

عن أبي أمامة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة لا يقبل الله منهم يوم القيامة صرفا ولا عدلا: العاق، والمنان، ومكذب بالقدر**»[٢].

٨- الحلف كاذبا ومنع الماء عن الناس:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم: رجل حلف على سلعة لقد أُعطي بها أكثر مما أُعطيَ وهو كاذب، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال رجل مسلم، ورجل منع فضل مائه فيقول الله: اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك**»[٣].

وفي رواية له أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم: رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه**

---

(١) رواه أبو داود واللفظ له (٣٠٣٦) في الخراج والفيء والإجارة: باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارة، وحسنه العجلوني (٢/ ٣٤٢) في كشف الخفا ومزيل الإلباس، وقال الأرناؤوط في تحقيقه على شرح السُنَّة للبغوي (١١/ ١٨٠): وسنده قوي فإنَّ العدة من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ وإن كانوا مجهولين يقبل حديثهم ويحتج به لأنهم أكثر من واحد اهـ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٥٥)، والسلسلة الصحيحة (٤٤٥).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٧٥٤٧)، وابن أبي عاصم (٣٢٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٦٥).

(٣) رواه البخاري في الشرب والمساقاة واللفظ له (٢٣٦٩) باب من رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمائه، ومسلم (١٠٨) في الإيمان باب غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم،

من ابن السبيل، ورجل بايع رجلا بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا فصدَّقه وهو على غير ذلك، ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا لدنيا فإنْ أعطاه منها وفىَّ، وإنْ لم يعط منها لم يف»[(١)].

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من اقتطع حق امرىء مسلم بيمنه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة**، فقال رجل: وإنْ كان شيئا يسيرا يا رسول الله؟ قال: **وإنْ قضيبا من أراك**»[(٢)].

٩- الشيخ الزاني والملك الكذاب والفقير المستكبر:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر**»[(٣)].

---

(١) رواه أحمد -الفتح الرباني- (١٩/ ٥٨٥) كتاب آفات اللسان باب ما جاء في الثلاثيات المبدوءة بعدد، والبخاري في (٢٣٥٨) في الشرب والمساقاة باب إثم من منع ابن السبيل من الماء و(٢٦٧٢) و(٧٢١٢) و(٧٤٤٦)، وفي الحيل باب: ما يكره من الاحتيال في البيوع ولا يمنع فضل الماء ليمنع به فضل الكلأ، ومسلم واللفظ له (١٠٨) في الإيمان باب غلظ تحريم أسباب الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، وأبو داود (٣٤٧٤) و(٣٤٧٥) في البيوع باب منع الماء والنسائي (٧/ ٢٤٧/ ح٤٤٧٤) في البيوع باب الحلف الواجب للخديعة في البيع.

(٢) رواه مسلم واللفظ له (١٣٧) في الإيمان باب وعيد من اقتطع حق مسلم، وابن خزيمة (٥٦١) باب ذكر أخبار رويت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثابتة من جهة النقل جهل معناها فرقتان: فرقة المعتزلة والخوارج.

(٣) رواه مسلم واللفظ له (١٠٧) في الإيمان باب غلظ تحريم إسبال الثياب والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف الكاذب وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، والنسائي(٥/ ٨٦/ ح٢٥٧٤) في الزكاة باب الفقير المختال.

١٠- عقوق الوالدين، وتشبه النساء بالرجال، والديوث، ومدمن خمر، والمنّ بالعطية:

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ثلاثة لا ينظر الله عَزَّوَجَلَّ إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة، والديوث، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن على الخمر، والمنّان بما أعطى**»[(١)].

١١- المرأة التي لا تشكر زوجها:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا ينظر الله تعالى إلى امرأة لا تشكر لزوجها**»[(٢)].

١٢- الولاة الظلمة والنساء المترجلات:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»[(٣)].

---

(١) رواه أحمد -الفتح الرباني- (١٩/ ٢٨٤) في آفات اللسان: باب فصل منه الثلاثيات المبدوءة بعدد، والنسائي واللفظ له (٥/ ٨٠/ ح٢٥٦١) في الزكاة: باب المنان بما أعطى، وحسنه الأرناؤوط في تخريجه جامع الأصول لابن الأثير (١١/ ٧٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٧١) وقال: رواه أحمد والحاكم وابن حبان وابن خزيمة.

(٢) رواه الحاكم وصححه (٢/ ١٩٠) ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٣٠٩): رواه البزار بإسنادين والطبراني وأحد اسنادي البزار رجاله رجال الصحيح اهـ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٩).

(٣) رواه أحمد -الفتح الرباني- (١٧/ ٣٠٢) في اللباس والزينة باب نهي المرأة أن تلبس ما يحكي =

١٣- الإسبال مع المخيلة:

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا ينظر الله تعالى إلى من جر ثوبه خيلاء**»(١).

١٤- اللواط وإتيان الزوجة في الدبر:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلا أو امرأة في دبرها**»(٢).

ثانيا: أحاديث الوعيد بغضب الله:

كما يوجد العديد من المعاصي التي تنبئ عن غضب الله على أصحابها يوم القيامة، وإذا لقي العبد ربه وهو عليه غضبان لعدم توبته من ذلك الذنب، فكيف سيرضى الرب جَلَّ وَعَلَا أن يُشفع له؟ ومتى سيرضى عنه يا ترى؟ خاصة إذا علمنا بأن من شروط الشفاعة الرضا عن المشفوع عنه؟ ومثال ذلك في الأحاديث التالية:

= بدنها أو تشبه بالرجال، ومسلم واللفظ له (٢١٢٨) في اللباس والزينة باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات، وفي كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.

(١) رواه أحمد -الفتح الرباني- (١٧/ ١٩١) في اللباس والزينة باب النهي عن الشهرة والإسبال، والبخاري (٥٧٨٣) في اللباس باب قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾، ومسلم (٢٠٨٥) في اللباس باب تحريم جر الثوب خيلاء، وبيان حد ما يجوز، وأبو داود (٣٥٧٣) في اللباس باب ما جاء في إسبال الإزار، والترمذي واللفظ له (١٧٨٤) في اللباس باب ما جاء في كراهية جر الإزار، وابن ماجه (٢/ ٣٧٠) في اللباس باب من جر ثوبه خيلاء.

(٢) رواه الترمذي واللفظ له في الرضاع باب في كراهية إتيان النساء في أدبارهن وقال حديث حسن غريب (١١٧٦)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٩٣٠).

١ - أكل أموال الناس ظلما:

روى وائل بن حجر عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من اقتطع أرضا ظلما، لقي الله وهو عليه غضبان**»(١).

وروى عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: « من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان، ثم قرأ علينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مصداقه من كتاب الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إلى آخر الآية [آل عمران: ٧٧](٢).

٢ - العجب والخيلاء:

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من تعظَّم في نفسه أو اختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان**»(٣).

ثالثا: أحاديث الوعيد بعدم دخول الجنة:

كما يوجد العديد من أحاديث الوعيد التي تنفي عن أصحابها دخول الجنة، فبماذا أوَّلها أهل العلم؟ ومثال ذلك ما يلي:

---

(١) رواه أحمد -الفتح الرباني- (١٥/ ٢١٦) في القضاء والشهادات باب من قضى باليمين مع الشاهد، ومسلم واللفظ له (١٣٨) في الإيمان باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار.

(٢) رواه مسلم واللفظ له (٢٢٢) في الإيمان باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار.

(٣) رواه أحمد واللفظ له -الفتح الرباني- (١٩/ ٢٢٦) في كتاب الكبائر وأنواع أخرى باب الترهيب من الكبر والخيلاء، والحاكم وصححه (١/ ٦٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٧١١).

١- الجواظ والجعظري:

عن حارثة بن وهب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يدخل الجنة الجوَّاظ ولا الجعظري**»[(١)]. ***ومعنى الجوَّاظ:*** المنوع، وقيل المختال في مشيته، وقيل: البطين، ومعنى الجعظري: الفظُّ الغليظ.

٢- النمام:

عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لا يدخل الجنة قتَّات**»[(٢)] أي نمام.

٣- رد الحق واحتقار الناس

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبر، قال رجل: إنَّ الرجل يجب أنْ يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، قال: إنَّ الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس**»[(٣)].

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٠١) في الأدب باب في حسن الخلق وصحح إسناده الأرناؤوط في تخريجه جامع الأصول لابن الأثير (١٠/ ٥٣٦)، والألباني في صحيح الجامع (٧٦٦٩).

(٢) رواه أحمد-الفتح الرباني-(١٩/ ٢٦٢) في آفات اللسان باب الترهيب من النميمة والبخاري واللفظ له (٦٠٥٦) في الأدب باب ما يكره من النميمة، ومسلم (١٠٥) في الإيمان باب بيان غلظ تحريم النميمة، وأبو داود (٤٨٥٠) في الأدب باب في القتات، والترمذي (٢٠٢٧) في البر والصلة باب ما جاء في النميمة.

(٣) رواه أحمد -الفتح الرباني- (١٩/ ٢٢٦) في الكبائر وأنواع أخرى باب الترهيب من الكبر والخيلاء، ومسلم واللفظ له (٩١) في الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه، وأبو داود (٤٠٩١) في الأدب باب ما جاء في الكبر، والترمذي (١٩٩٩) في البر والصلة باب ما جاء في الكبر.

٤- إيذاء الجار:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يدخل الجنة من لا يأمن جارُه بوائقَه**»(١).

٥- تغيير النسب:

عن سعد بن أبي وقاص وأبا بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالا: سمعته أذناي ووعاه قلبي من محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من ادّعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنَّه غير أبيه فالجنة عليه حرام**»(٢).

٦- قاطع الرحم:

عن الجبير بن مطعم عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يدخل الجنة قاطع**»(٣).

٧- قتل المعاهد بغير حق:

عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من قتل نفسا معاهدة بغير حلها حرم الله عليه الجنة أنْ يجد ريحها**»(٤).

---

(١) رواه مسلم (٣٦) في الإيمان باب بيان تحريم إيذاء الجار.

(٢) رواه البخاري واللفظ له (٦٧٦٦) و(٦٧٦٧) في الفرائض باب من ادعى إلى غير أبيه، ومسلم (٦٣) في الإيمان باب بيان حال من رغب عن أبيه وهو يعلم، وابن خزيمة (٥٤٩) باب ذكر أخبار رويت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثابتة من جهة النقل جهل معناها فرقتان: فرقة المعتزلة والخوارج.

(٣) رواه البخاري (٥٩٨٤) في الأدب باب إثم التقاطع، ومسلم (٢٥٥٦) في البر والصلة والآداب باب صلة الرحم وتحريم قطعها، وابن خزيمة (٥٧٤) باب ذكر أخبار رويت أيضا في حرمان الجنة على من ارتكب بعض المعاصي.

(٤) رواه أحمد واللفظ له -الفتح الرباني- (١٤/ ١١٨) في أبواب الأمان والصلح: باب الوفاء بالعهد والتشديد بالغدر، والبخاري (٣١٦٦) في الجزية باب إثم من قتل معاهدا، وفي

٨- غش الحاكم لرعيته:

روى معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما من والٍ يلي رعية من المسلمين، فيموت وهو غاش لهم، إلا حرم الله عليه الجنة**»[١] وفي رواية أخرى أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما من أمير يلي أمر المسلمين، ثم لم يجهد لهم** (أي يبذل طاقته لهم) **وينصح، إلا لم يدخل معهم الجنة**»[٢].

قال النووي: في معنى «لا يدخل الجنة» جوابان يجريان في كل ما أشبه هذا:

أحدهما: أنَّه محمول على من يستحل الإيذاء مع علمه بتحريمه فهذا كافر لا يدخلها أصلا.

والثاني: معناه جزاؤه أنْ لا يدخلها وقت دخول الفائزين إذا فتحت أبوابها لهم، بل يؤخر ثم قد يجازى، وقد يعفى عنه فيدخلها أولا، وإنما تأولنا هذين التأويلين؛ لأننا قدمنا أنَّ مذهب أهل الحق أنَّ من مات على التوحيد مصرا على الكبائر فهو إلى الله تعالى إنْ شاء عفا عنه فأدخله الجنة، وإنْ شاء عاقبه ثم أدخله الجنة والله أعلم اهـ[٣].

وقال ابن حجر: ومعنى لا يدخل الجنة أي: في أول وهلة اهـ[٤].

الديات (٦٩١٤) باب إثم من قتل ذميا بغير جرم عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والنسائي (٨/٢٥/ح ٤٧٦٢) في القسامة باب تعظيم قتل المعاهد، وابن خزيمة (٥٨٠) باب ذكر أخبار رويت أيضا في حرمان الجنة على من ارتكب بعض المعاصي.

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه مسلم (١٤٢) في الإيمان باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار.

(٣) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (١/ ٣٧٦)

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٠/ ٤٨٨).

وقال المناوي: أي مع السابقين الأولين أو من غير سبق عذاب [١].

وقال البنا: أي ما دام ملطخا بذنبه ذلك فإذا طهر بالنار صار إلى الجنة اهـ [٢]، وقال في موضع آخر: أي بدون سبق عذاب، أو لا يدخلها مطلقا إنْ استحل ذلك اهـ [٣].

وقال ابن خزيمة في معنى لا يدخل الجنة قال: إنما هو على أحد معنين: أحدهما: لا يدخل الجنة أي بعض الجنان؛ إذ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أعلم أنها جنان في الجنة، واسم الجنة واقع على كل جنة منها، فمعنى هذه الأخبار التي ذكرنا من فعل كذا لبعض المعاصي حرم الله عليه الجنة، أو لم يدخل الجنة معناها لا يدخل بعض الجنان التي هي أعلى وأشرف وأنبل وأكثر نعيما وسرورا وبهجة وأوسع، لا أنَّه أراد لا يدخل شيئا من تلك الجنان التي هي في الجنة اهـ [٤].

وقال في موضع آخر: قد يجوز أنْ يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فعل كذا وكذا لم يدخل الجنة: يريد لم يدخل الجنة في الوقت الذي يدخلها من لم يرتكب هذه الحوبة؛ لأنه يحبس عن دخول الجنة، إما للمحاسبة على الذنب أو لإدخال النار ليعذب بقدر ذلك الذنب، إنْ كان ذلك الذنب مما يستوجب به المرتكب النار - إنْ لم يعف الله ويصفح ويتكرم فيغفر ذلك الذنب اهـ [٥].

---

(١) فيض القدير للمناوي (٣/ ٣٢٦).
(٢) الفتح الرباني لعبدالرحمن البنا (١٤/ ١١٨).
(٣) المرجع السابق (١٩/ ٢٦٢).
(٤) كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ لابن خزيمة (٢/ ٨٦٨).
(٥) المصدر السابق (٢/ ٨٧٧).

ولهذا لا يعتبر من وقع في مثل هذه الكبائر من الذنوب محروما من شفاعة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمشيئة الله تعالى؛ لأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيشفع لأهل الكبائر ولله الحمد، أو من شفاعة غيره من الشفعاء، وليس معنى هذا تهوين أمر هذه الذنوب في نفوسنا؛ إذ أنْ مقترف كبائر الذنوب تحت المشيئة ومهدد بالعذاب في النار فاحترز رحمك الله من هذه الذنوب؛ كي تصفو لك شفاعة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رفع الدرجات في الجنان، وهي أفضل أنواع الشفاعة.

البَابُ الثَّانِي

الشفعاءِ يومَ القيامةِ سوى رسول الله ﷺ

الشفعاء يوم القيامة سوى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

توطئة:

يلاحظ من الكثير من الناس الحرص على التعرف على الأصدقاء والوجهاء في مجتمعهم، فيربطون معهم علاقة وطيدة، لا لشيء سوى الاستفادة من مكانتهم الاجتماعية، ليشفعوا لهم في أي معضلة تواجههم. أليس من باب أولى أنْ يحسن المؤمن علاقته في هذه الدنيا مع الشفعاء الذين سيكون لهم شأن عظيم ووجاهة يوم القيامة؟ فلعله يحتاج إلى شفاعتهم، فيخلصوه بعد رحمة الله تعالى من أشد كرب يوم القيامة، وهي النار، وكفى بها كربا.

هناك شفعاء كُثُر سيكون لهم كرامة، ومكانة عند الله جَلَّ وَعَلَا يوم القيامة، روى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مُشَفَّع**»(١). فمن قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وأول شافع**» دليل على أنه يوجد آخرين سيشفعون للمؤمنين يوم القيامة بعد شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) رواه أحمد -الفتح الرباني- (٢٤/ ١١٠) في قيام الساعة والنفخ في الصور والبعث والنشور الفصل الرابع في بعث الناس من قبورهم وحشرهم إلى الموقف وشدة كربهم فيه، ومسلم واللفظ له (٢٢٧٨) في الفضائل باب تفضيل نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على جميع الخلائق، وابن ماجه (٢/ ٥٨٢) في الزهد باب ذكر الشفاعة، وابن خزيمة (٣٦٢) في كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ وقد بوَّب ابن خزيمة له بابا قال فيه: باب ذكر البيان أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول شافع وأول مُشَفَّع بوم القيامة وفيه دلالة أنَّ يوم القيامة قد يشفع بعد نبينا غيره على ما سبق بعد ذلك إنْ شاء الله؛ إذ غير جائز في اللغة أنْ يقال أول لما لا ثاني له بعد ولا ثالث اهـ. ورواه ابن أبي عاصم في السُّنة (٧٩٢).

فمَنْ هؤلاء الشفعاء يا ترى؟ وما دورنا تجاههم؟ وكيف نحظى بشفاعتهم؟ هذا ما سيجيب عنه هذا الباب بمشيئة الله تعالى في الفصول التالية:

الفصل الأول: شفاعة الملائكة (عليهم السلام).

الفصل الثاني: من الذي سيكرم بالشفاعة من الناس؟، وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: شفاعة الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام).
- المبحث الثاني: شفاعة الشهداء.
- المبحث الثالث: شفاعة صالح المؤمنين.
- المبحث الرابع: شفاعة أطفال المؤمنين لوالديهم.

الفصل الثالث: شفاعة بعض الأعمال الصالحة لأصحابها، وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: القرآن الكريم.
- المبحث الثاني: الصيام.
- المبحث الثالث: مجموعة أعمال أخرى متفرقة.

الفصل الأول

هل للملائكة عليهم السلام شفاعة؟

إنَّ مِنْ كرم المؤمن عند الله جل وعلا أنْ جعل ملائكته المقربين عليهم السلام يستغفرون للمؤمنين التوابين في الدنيا، فقال جل وعلا: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧-٩][(١)].

ومن سعة رحمة الله جل وعلا يوم القيامة، أنَّه سيجعل للملائكة عليهم السلام شفاعة لمن دخل النار من المسلمين.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**هل تضارُّون في رؤية الشمس بالظهيرة ... فيقول الله: شفعت الملائكة، وشفع الأنبياء، وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج...الخ**»[(٢)].

---

(١) نقل القرطبي في تفسيره (١٥/ ٢٨٣) عن خلف بن هشام البزار القارئ قال: كنت أقرأ على سليم بن عيسى، فلما بلغت: ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٧]، بكى، ثم قال: يا خلف! ما أكرم المؤمن على الله، نائما على فراشه والملائكة يستغفرون له اهـ.

(٢) رواه البخاري (٧٤٣٩) في التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾، ومسلم (١٨٣) واللفظ له في الإيمان باب معرفة طريق الرؤية، وأحمد -الفتح الرباني- (٢٤/ ٢٠٨) خاتمة الكتاب في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الجنة.

وروى أبو بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يُحمل الناس على الصراط يوم القيامة، فتقادع بهم جنبة الصراط تقادع الفراش في النار، قال فينجي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى برحمته من يشاء، قال: ثم يؤذن للملائكة والنبيين والشهداء أنْ يشفعوا، فيشفعون وَيُخْرِجُونَ، ويشفعون وَيُخْرِجُونَ، ويشفعون وَيُخْرِجُونَ، وزاد عفان مرة فقال أيضا: ويشفعون وَيُخْرِجُونَ من كان في قلبه ذرة من إيمان**»[(١)].

فلذا كُنْ محبا للملائكة عليهم السلام، واستح منهم ولا تؤذيهم بالمعاصي، ولا تجعلهم يجدوا منك رائحة يكرهونها كمثل رائحة الثوم والبصل والكراث والحِلبة والدخان وما شابهها، فإنهم يتأذَّون مما يتأذى منه بنو آدم.

واحذر كل الحذر من أنْ تصيبك لعناتهم التي لا تخطئ والموجهة إلى كل مَنْ سَبَّ صحابيا، أو من آوى محدثا، أو من أشار إلى أخيه بحديدة وإن كان يمازحه، أو من حال دون تنفيذ شرع الله على عباد الله، أو من امتنعت عن فراش زوجها[(٢)].

(١) رواه أحمد -الفتح الرباني- (٢٤/ ١٥٦) أبواب ذكر يوم الحساب وعرض الخلائق على رب الأرباب، باب فيما جاء في الصراط وشفاعة الأنبياء والمؤمنين، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٥٩): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، والطبراني في الصغير والكبير بنحوه، ورواه البزار أيضا ورجاله رجال الصحيح اهـ.

(٢) للاستزادة في ذلك راجع كتاب عالم الملائكة الأبرار للدكتور عمر الأشقر، وكتاب بيوت لا تدخلها الملائكة لإبراهيم بن محمد.

الفصل الثاني

من الذي سيكرم بالشفاعة من الناس؟

توجد أحاديث عديدة تشير إلى شفاعة بعض الصالحين لمعارفهم وأقربائهم كمثل شفاعة العلماء والحجاج والمؤذنين، ونظرا لضعف أسانيد هذه الأحاديث اقتصرت على ما صححه أهل العلم في هذا الجانب، وهي شفاعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وشفاعة الشهداء وشفاعة صالح المؤمنين بعضهم لبعض، وشفاعة أطفال المؤمنين لوالديهم وذلك في المباحث التالية[١]:

(١) وليس معنى ذلك إنكار شفاعة العلماء والحجاج والمؤذنين؛ لأنهم يدخلون في الأصل ضمن شفاعة صالح المؤمنين بعضهم لبعض، وإنما الهدف هو معرفة الصحيح من الحديث النبوي في أمر الشفاعة.

المبحث الأول

شفاعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

تبين من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابق ذكره في فصل: هل للملائكة عليهم السلام شفاعة، أنَّ سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام سيكون لهم شفاعة لمن دخل النار، ولكن هل سيشفع الأنبياء في أتباعهم فقط؟ فإن كانوا كذلك، فلن نستفيد من هذه الشفاعة، ولكن من فضل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على عباده المؤمنين، أنَّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام سيشفعون في كل من أقر بتوحيد الله عَزَّوَجَلَّ من جميع الأمم؛ إذ أننا نؤمن بأن كل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، على اختلاف شرائعهم، قد أُرسلوا إلى أقوامهم بتوحيد الله عَزَّوَجَلَّ، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[الأنبياء:٢٥].

هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنه قد ثبت في الصحيح أنَّ الأنبياء يتفاوتون في عدد أتباعهم، فمِنَ الأنبياء مَنْ يأتي يوم القيامة ومعه الرجل والرجلان، ومِنَ الأنبياء من يأتي وليس معه أحد[١]، ولا شك أنَّ الذي سيأتي

(١) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال خرج علينا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوما فقال: «**عرضت علي الأمم فجعل يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي معه الرهط والنبي ليس معه أحد ورأيت سوادا كثيرا سد الأفق فرجوت أن تكون أمتي فقيل هذا موسى وقومه ثم قيل لي انظر فرأيت سوادا كثيرا سد الأفق فقيل لي انظر هكذا وهكذا فرأيت سوادا كثيرا سد الأفق فقيل هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفا... الحديث**» [رواه أحمد -الفتح الرباني- (١٧/ ١٨٥) في الطب والرقى والعين باب ما جاء في العين وأنها حق، وفي كتاب خلق العالم (٢٠/ ٨٤) أبواب ذكر نبي الله موسى بن عمران، والبخاري واللفظ له (٥٧٠٥) في الطب باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من يكتو، وباب من لم يرق (٥٧٥٢)، وباب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب (٦٥٤١)، ومسلم =

بعدد قليل كهذا، أو من سيأتي وليس معه أحد، أنَّه لن يُحرم من أنْ يشفع لأحد، فلن يفضله الشهداء وصالح المؤمنين من هذه الأمة ألبته، وإنما قد يُحدُّ له حدًا في النار ويشفع لأناس من غير أمته فيمن يشهد أنْ لا إله إلا الله مخلصا والله تعالى أعلم.

ويفهم ذلك مما رواه أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**يُوضع الصراط بين ظهري جهنم، وعليه حسك كحسك السعدان...**» - فذكر شفاعة المؤمنين ثم ذكر شفاعة الأنبياء فقال-: «**ثم يشفع الأنبياء في كل من كان يشهد أنْ لا إله إلا الله مخلصا، فيخرجونهم منها، قال ثم يتحنن الله برحمته على من فيها، فما يترك فيها عبدا في قلبه حبة من إيمان إلا أخرجه منها**»[(١)].

= (٢٢٠) و(٣٧٤) في الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب، والترمذي (٢٤٤٨) في الأنبياء باب: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾]

(١) رواه أحمد واللفظ له-الفتح الرباني- (٢٤/ ١٥٥) أبواب ذكر يوم الحساب وعرض الخلائق على رب الأرباب، باب فيما جاء في الصراط وشفاعة الأنبياء والمؤمنين، وقال البنا في الفتح (٢٤/ ١٥٦) وأخرج ابن ماجه صدره وعزاه صاحب منتخب كنز العمال إلى ابن حبان في صحيحه اهـ، وابن خزيمة (٤٩٣) في كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ، والحاكم (٤/ ٥٨٥) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي في التلخيص، وصحح الألباني الجزء الأول منه في صحيح الجامع (٨١٨٩) ولم يذكر باقي الحديث.

المبحث الثاني

شفاعة الشهداء

روى المقدام بن معدي كرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه**»[(١)].

ألا تتمنى أخي القارئ أنْ تكون من الشهداء كي تنال هذه الخصال العظيمة التي نطق بها الصادق المصدوق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتشفع لسبعين إنسانا من أقربائك؟ فتخيل ضخامة هذا العدد من أهل بيتك!

ألا ينبغي أنْ يفرح ويحتسب الأب والأم بولدهما إذا مات شهيدا مدافعًا عن دينه ومقدساته وديارِه وتحت راية ولي أمر المسلمين؛ لأنه سيشفع لهما إنْ شاء الله تعالى؟

---

(١) رواه أحمد -الفتح الرباني- (١٤/ ٣٠) في الجهاد باب ما جاء في فضل الشهيد، والترمذي واللفظ له في فضائل الجهاد (١٧١٢) باب رقم (٢٥) وقال حديث حسن صحيح غريب، وابن ماجه في الجهاد (٢/ ١٨٤) باب فضل الشهادة في سبيل الله، والطبراني في الكبير (٢٠/ ٢٦٦/ حـ٦٢٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٩٣): رواه أحمد هكذا قال مثل ذلك، والبزار والطبراني إلا أنه قال سبع خصال وهي كذلك ورجال أحمد والطبراني ثقات اهـ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥١٨٢). أقول وأما رواية الطبراني في الكبير فليس فيها سبع خصال كما قال الهيثمي وإنما هي تسع خصال.

لقد كان بعض السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ يفرحون بذلك، ويتسابقون فيما بينهم لنيل الشهادة، ويهنئ بعضهم بعضا أحيانا إذا مات منهم شهيد في أرض المعركة.

إنَّ طلب الشهادة في سبيل الله إنما يكون لأصحاب الهمم العالية، الذين تعلقت قلوبهم بالآخرة، واحتقروا الدنيا على ما فيها من زينة وجمال، ليقينهم التام بأنَّ جنة الله هي النعيم الباقي الذي لا يماثله شيء.

ألا تعلم أخي القارئ أنَّ من سأل الله تعالى الشهادة بصدق، بلَّغه الله إياها، ولو مات على فراشه؟

روى أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من سأل الله الشهادة أعطيها ولو لم تصبه**»(١). وروى سهل بن حنيف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من سأل الله الشهادة بصدق، بلَّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه**»(٢)، فهل فعلت ذلك على الأقل(٣)؟

ففي هذين الحديثين استحباب سؤال الله تعالى الشهادة، فاصدق الله في طلبها، تحيا حياة كريمة عند الله؛ فإن الشهداء ليسوا بأموات كما نحسبهم في

(١) رواه مسلم (١٩٠٨) في الإمارة باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله.

(٢) رواه مسلم في الإمارة واللفظ له (١٩٠٩) باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله، وأبو داود (١٥٠٦) في أبواب الوتر باب في الإستغفار، والترمذي (١٧٠٥) في فضائل الجهاد باب ما جاء فيمن سأل الشهادة، والنسائي (٦/ ٣٧/ حـ٣١٦٢) في الجهاد باب مسألة الشهادة.

(٣) ويجب التنبيه هنا إلى تحريم ما تزعمه بعض الفِرَق الضالة من مسمى الجهاد المكذوب، الذي يدعون فيها الشباب إلى القتال تحت راية عميّة أو جاهلية، مبنية على تكفير المسلمين، أو قتل المعاهدين والذميين، أو نحو ذلك مما يخالف نصوص الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح، مما أودى بهؤلاء الشباب إلى هاوية سحيقة من الفكر الضال، الذي أبعدهم عن منهج أهل السنة والجماعة والعلماء الربانيين، وكانوا أقرب وألصق بمنهج الخوارج ومن شابههم، نعوذ بالله من الانحراف، ونسأل الله السلامة.

الظاهر، بل أحياء عند ربهم يرزقون، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩-١٧٠].

المبحث الثالث

شفاعة المؤمنين

إنَّ شفاعة المؤمنين لبعضهم بعضًا لها وقفة تأمل خاصة؛ لأنها تبدأ من الدنيا، وتستمر حتى بعد دخولهم الجنة، إنها لا تنتهي إلا بعد أنْ تقر عين المؤمن برؤية من يعرف من إخوانه معه في الجنة.

أما شفاعة المؤمنين في الدنيا، فهي شفاعتهم لمن مات من إخوانهم المسلمين بالصلاة عليه والدعاء له بالرحمة والثبات والمغفرة، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما من ميت تصلي عليه أمة من المسلمين، يبلغون مئة كلهم يشفعون له، إلا شفعوا فيه**»(١).

وجاء أن الله عَزَّوَجَلَّ يقبل شفاعة أربعين رجلا موحدا إذا قاموا على جنازة أخيهم المسلم، حيث روى عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه مات ابن له بقديد أو عسفان فقال كريب [مولى له]: انظر ما اجتمع له الناس، قال: فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته، فقال: تقول هم أربعون؟ قال: نعم، قال: أخرجوه فإني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ما من رجل مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلا، لا يشركون بالله شيئا، إلا شفَّعَهم فيه**»(٢).

(١) رواه مسلم واللفظ له (٩٤٧) في الجنائز باب من صلى عليه مئة شفعوا فيه، والترمذي (١٠٣٤) في الجنائز باب كيفية الصلاة على الميت والشفاعة له، والنسائي (٤/ ٧٦/ حـ١٩٩٠) في الجنائز باب فضل من صلى عليه مئة.

(٢) رواه أحمد -الفتح الرباني- (٧/ ٢٠١) في الجنائز باب ما يرجى للميت بكثرة المصلين، ومسلم واللفظ له (٩٤٨) في الجنائز باب من صلى عليه أربعون شفعوا فيه، وأبو داود (٣١٥٤) في الجنائز باب في فضل الصلاة على الجنازة وتشييعها.

وأما عن شفاعة المؤمنين يوم القيامة، فسيكون لعامة المؤمنين الذين اجتازوا الصراط صَوْلَة وجَوْلَة وكرامة مِنَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، تتمثل في شفاعاتهم لأقاربهم وإخوانهم المؤمنين الذين سقطوا في النار، فمنهم من سيعطى الصلاحيات ليشفع لرجل واحد، ومنهم من سيشفع لثلاثة أو لأكثر، بل لجماعة كثيرة، كل حسب منزلته عند الله جَلَّ وَعَلَا وحسب قلة عمله الصالح أو كثرته، كمثل الشهيد الذي سيشفع لسبعين إنسانا، وقد ذكر في المبحث السابق.

فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إنَّ الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة**»[(١)].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أما أهل النار الذين هم من أهلها لا يموتون ولا يحيون، وأما أناس يريد الله بهم الرحمة، فيميتهم في النار**[(٢)] **فيدخل عليهم الشفعاء، فيأخذ الرجل أنصاره فيبثهم، أو قال: فينبتون على نهر الحياء**، أو قال: **الحيوان**، أو قال: **الحياة** أو... الحديث»[(٣)].

(١) رواه ابن خزيمة (٤٧٤) في كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ وحسَّن إسناده محقق الكتاب الدكتور الشهوان، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥/ ٣٨٢) وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، وصححه السيوطي في البدور السفارة في أمور الآخرة (١١٣٤)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٤١٦) رواته رواة الصحيح اهـ.

(٢) قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه على صحيح مسلم (٣/ ٤٠): فمعناه أن المذنبين من المؤمنين يميتهم الله تعالى إماتة بعد أن يعذبوا المدة التي أرادها الله تعالى، وهذه الإماتة حقيقية، يذهب معها الإحساس، ويكون عذابهم على قدر ذنوبهم، ثم يميتهم الله، ثم يكونوا محبوسين في النار من غير إحساس المدة التي قدرها الله تعالى، ثم يخرجون من النار موتى قد صاروا فحما، فيُحملون ضبائر كما تحمل الأمتعة ويلقون على أنهار الجنة، فيصب عليهم ماء الحياة، فيحيون وينبتون نبات الحِبَّة من حميل السيل في سرعة نباتها وضعفها، فتخرج لضعفها صفراء ملتوية، ثم تشتد قوتهم بعد ذلك، ويصيرون إلى منازلهم، وتكمل أحوالهم، فهذا هو الظاهر من لفظ الحديث ومعناه اهـ. وذكر ابن حجر في الفتح (١١/ ٤٧١) قريبا من هذا.

(٣) رواه أحمد واللفظ له -الفتح الرباني- (٢٤/ ١٥٩) أبواب ذكر النار والجنة وما جاء فيهما:=

وفي رواية الإمام مسلم عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم، فأماتتهم إماتة حتى إذا كانوا فحما، أُذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر** [أي: جماعات في تفرقة]، **فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل لأهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل... الحديث**».

بل وصح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ رجلا من أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيشفع لمجموعات كبيرة من الناس، حتى يظن الناس أنه نبي من الأنبياء، وهو ليس كذلك، فعن عبد الله بن الجدعاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثرُ من بني تميم، قيل: يا رسول الله، سِواكَ؟ قال سِوايَ**»[(١)].

= الفصل الأول فيما جاء في أهلها، ومسلم (١٨٥) في الإيمان باب اثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، والترمذي عن جابر (٢٧٢٤) في صفة جهنم: باب ما جاء أن للنار نفسين وما ذكر من يخرج من النار من أهل التوحيد، وقال هذا حديث حسن صحيح قد روي من غير وجه عن جابر، وابن ماجه (٢/ ٥٨٢) في الزهد باب ذكر الشفاعة، وابن خزيمة (٣٩٩و ٤٣٦) كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ، والدارمي (٢٨١٧) في الرقائق باب (٩٦) ما يخرج الله من النار برحمته.

(١) رواه أحمد -الفتح الرباني- (٢٤/ ١٣٣) باب في الشفاعة للمذنبين يوم القيامة، الفصل السادس في شفاعة بعض صالحي الأمة المحمدية لصالحيها، والترمذي واللفظ له (٢٥٥٥) في صفة القيامة باب ما جاء في الشفاعة، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وابن ماجه (٢/ ٥٨٦) في الزهد باب ذكر الشفاعة، والحاكم (١/ ٧١) في الإيمان، وابن خزيمة (٤٦٩) في كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ، وصححه الأرناؤوط في تخريجه جامع الأصول لابن الأثير (٩/ ٢٠١)، والألباني في صحيح الجامع (٨٠٦٩).

وروى الحارث بن أقيش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن من أمتي من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من مُضر، وإن من أمتي من يَعظُم للنار حتى يكون أحد زواياها**»[(١)].

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي، مثل الحيين أو مثل أحد الحيين ربيعة ومضر، فقال رجل: يا رسول الله أوما ربيعة من مضر؟ فقال: إنما أقول ما أُقَوَّل**»[(٢)]، قال أهل العلم: أي ما لُقِّنته وما عُلِّمته أو ألقي على لساني من الإلهام أو هو وحي حقيقة.

لمن سيشفع المؤمنون؟

بعد استعراض بعض الأدلة الصحيحة على تحقق شفاعة المؤمنين لإخوانهم، يأتي السؤال المهم والحاسم وهو: لمن سيشفع المؤمنون؟ وما أهمية هذا السؤال يا ترى؟

---

(١) رواه أحمد -الفتح الرباني- (٢٣/ ٢٠١) في الفضائل الباب الأول فيما ورد في فضل الأمة المحمدية، وابن ماجه واللفظ له (٢/ ٥٨٧) في الزهد باب صفة النار، والحاكم (٤/ ٥٩٣)، وسكت عنه الذهبي، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٨١) وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات اهـ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٤٩٠).

(٢) رواه أحمد -الفتح الرباني- (٢٤/ ١٣٣) باب في الشفاعة للمذنبين يوم القيامة الفصل السادس في شفاعة بعض صالحي الأمة المحمدية لصالحيها، وقال البنا في الفتح (٢٤/ ١٣٣): أورده ابن كثير في النهاية اهـ، وحسَّن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٤٤٥)، والسيوطي في الجامع الصغير (٧٥٥٧)، وقال المناوي في فيض القدير (٥/ ٣٥٢): رواه أحمد بإسناد جيد قال الهيثمي رواه أحمد والطبراني بأسانيد ورجال أحمد رجال الصحيح وأحد أسانيد الطبراني رجالهم رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن ميسرة وهو ثقة اهـ، والحاكم (١/ ٧٠) في كتاب الإيمان وصححه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٦٣).

استعرض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لصحابته أحوال الناس يوم القيامة والأهوال التي سيمرُّون عليها من الحشر واقتراب الشمس من الرؤوس، وظهور النار على الخلائق، والمرور على الصراط، وهو أشد الكرب يوم القيامة وأخطر مراحلها؛ إذ أنَّ الناس على الصراط سيرون النار أسفل منهم سوداء مظلمة، عمقها سبعون سنة، هذا الصراط الذي سنجتازه، ليس لنا عليه نور سوى نور عملنا الصالح، فتخيل هذا الموقف المهيب، وقد طلب منك أخي القارئ - وسيطلب ذلك منك لا محالة - أنْ تسير عليه، وهو أدق من الشعرة وأحد من السيف[(١)]، وطريق مَزلَّة، لا تثبت عليه الأقدام، إلا من وفقه الله لذلك وكان من المسارعين في الأعمال الصالحة كتعلق القلب بالمسجد: صلاةً واعتكافًا[(٢)]، وقضاء حوائج الناس[(٣)].

---

(١) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «**بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحدّ من السيف**» [رواه مسلم (١٨٣) في الإيمان باب معرفة طريق الرؤية].

(٢) عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**المساجد بيوت المتقين، وقد ضمَّن الله تعالى لمن كانت المساجد ببوتهم بالروح والراحة والجواز على الصراط إلى رضوان الله تعالى**» [رواه الطبراني في الكبير (٦١٤٣) وحسنه محقق المعجم الكبير للطبراني وقال: رواه أبو نعيم في الحلية والقضاعي في المسند وابن عساكر اهـ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٢) رواه الطبراني في الكبير (٦١٤٣) والأوسط والبزار وقال إسناده حسن، قلت ورجال البزار كلهم رجال الصحيح اهـ، وقال السيوطي في البدور السافرة في أمور الآخرة (١٠٣٦) أخرجه سعيد بن منصور والطبراني والبزار وحسنه اهـ].

(٣) وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس..... ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام.... الحديث**». [رواه الطبراني في الكبير (١٣٦٤٦) وابن أبي الدنيا، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٧٦)].

وفي هذا الموقف العصيب، ومع مرور الخلائق على هذا الصراط، تتجلى رحمة الله، عندما يتساقط بعض المؤمنين مِنْ الصراط إلى النار، بسبب ذنوب اقترفوها، فيأذن الله للمؤمنين الذين اجتازوا الصراط بنجاح ونجوا من النار، أنْ يشفعوا لإخوانهم الذين سقطوا فيها، فماذا قال رسول الله ﷺ عن شفاعة المؤمنين لبعضهم بعضًا؟

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ ناسا في زمن رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ قال: «**هل تُضارُّون**[(١)] **في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب**،.....-إلى أنْ قال-: «**ثم يُضرب الجِسر (أي الصراط) على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سَلِّم سلِّم**»، قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: «**دَحْضٌ**[(٢)] **مَزَلَّة**[(٣)]، **فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد، فيها شويكة يقال لها السَعْدَان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل، والركاب، فناجٍ مُسَلَّمٌ، ومخدوشٌ مُرسلٌ، ومكدوسٌ في نار جهنم، حتى إذا خَلَصَ المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين سقطوا في النار، يقولون: ربنا**

---

(١) أي لا يضايق بعضنا بعضا في رؤيته كمثل عدم تزاحمنا لرؤية الشمس والقمر. [جامع الأصول في أحاديث الأصول للجزري (١٠/ ٤٣٩)] بتصرف.

(٢) **الدحض:** الزلق، وهو الماء والطين [جامع الأصول في أحاديث الأصول للجزري (١٠/ ٤٥٤)].

(٣) **مزلّة:** موضع الزلل، وألا يثبت القدم على شيء فيسقط صاحبها [جامع الأصول في أحاديث الأصول للجزري (١٠/ ٤٥٤)].

كانوا يصومون معنا، ويصلون، ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتُحَرَّمُ صورهم على النار، فيُخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه، ثم يقولون ربنا ما بقي فيها أحدٌ ممن أمرتنا به، فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرًا قط»، وكان أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: إنْ لم تصدقوني بهذا الحديث، فاقرؤا إنْ شئتم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] **«فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حُمَما، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة، يقال له نهر الحياة فيخرجون كما....الخ»**[1].

وهكذا يُحدُّ للمؤمنين حدا في النار؛ ليشفعوا لمن يعرفون؛ حتى لا يبقى في تلك المواقع أحدا عمل خيرا قط، ثم يخرج الله برحمته أناسا مسلمين لم يعملوا خيرا قط، لكيلا يبقى في النار إلا المخلدون فيها، وهم الذين كفروا.

ولكن هل تنتهي المواقف الأخوية عند هذا المستوى؟ وهل تقف شفاعتهم عند هذا الحد؟

---

(١) سبق تخريجه (ص؟؟؟).

إنَّ شفاعة المؤمنين لن تقف عند هذا الحد، بل ستستمر شفاعتهم لإخوانهم حتى بعد دخولهم الجنة[١]، حيث يفتقدون أناسا يعرفونهم، فلا يجدونهم في منازلهم في الجنة، فيسارعون إلى الأنبياء ليشفعوا لإخوانهم الذين ظلوا في النار.

انظر إلى عمق رابطة الأخوة الإيمانية ومدى منفعتها، وصلابتها وأصالة معدنها في الدنيا، حتى استمر أثرها إلى يوم القيامة، بل حتى بعد دخول الجنة!

فعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يفتقد أهل الجنة ناسا كانوا يعرفونهم في الدنيا، فيأتون الأنبياء فيذكرونهم، فيشفعون فيهم، فيشفعون، يقال لهم: الطلقاء، وكلهم طلقاء يصب عليهم ماء الحياة**»[٢].

(١) ليس عامة المؤمنين هو الوحيدون الذين ستمتد شفاعتهم حتى بعد دخولهم الجنة؛ إذ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أول من سيشفع إذا دخل الجنة، وذلك استنادا لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا أول من يشفع في الجنة**» [سبق تخريجه في الحاشية رقم ٣٣]، قال السيوطي: ومن مشى في حديث: «**أنا أول شفيع في الجنة**» فإنه سيقف لوقوف شفاعته في الجنة من شافعين هو أولهم اهـ [البدور السافرة لأمور الآخرة (صفحة ١٧١)]. واستنادا للحديث الذي رواه أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يلقى الناس يوم القيامة ما شاء الله أنْ يلقوا من الحزن فيقولون انطلقوا بنا إلى أبينا آدم فيشفع لنا إلى ربنا، فينطلقون إليه، فيقولون: يا آدم اشفع لنا إلى ربك، فيقول: لست هناك ولكن انطلقوا إلى خليل الله إبراهيم....**– إلى أن قال: – **فينطلقون إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقولون: يا محمد! اشفع لنا إلى ربك، قال فيقول: أنا لها وأنا صاحبها، قال: فأنطلق حتى استفتح باب الجنة، فيفتح لي فأدخل، وربي على عرشه، فأخر ساجدا فأحمده بمحامد لم يحمده بها أحد قبلي** –**قال: أحسب قال: ولا يحمده أحد بعدي**– **قال: فيقال: يا محمد! ارفع رأسك، اشفع تشفع...الحديث**» [رواه ابن أبي عاصم (٨١٦) وقال الألباني تخريج السُنة (صفحة ٣٧٤): إسناده صحيح على شرط الشيخين، وقد أخرجاه بنحوه من طرق أخرى اهـ].

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٣/ ٢٤٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٧٩) إسناده حسن. وقال صاحب كنز العمال (٣٩١١٦) رواه الشيرازي في الألقاب، وحسنه السيوطي في البدور السافرة في أمور الآخرة (١١٢٤).

فانظر ـ أخي القارئ الكريم ـ إلى هؤلاء الذين تربوا على موائد الأخوة الإيمانية الصادقة في الدنيا، فعلى ما هم فيه من نعيم مقيم، وتلذذ بالزوجات والحور العين، والنظر إلى وجه الله الكريم، إلا أنهم لم ينسوا إخوانا لهم صاحبوهم في الدنيا لذات الله، فلم يجدوهم معهم في الجنة، ليشاركوهم هذا النعيم حينما زاروهم، أو زاروا أماكنهم في الجنة فلم يروهم، فطارت قلوبهم وتحركت مشاعر الأخوة في نفوسهم، وأشفقوا على إخوانهم، فسارعوا إلى الأنبياء ليشفعوا فيهم عند الله، ولقد تقبل الله شفاعتهم. يا له من دين سماوي عظيم أعطى للأخوّة الإيمانية ولصلة الأرحام شأنا عظيما، فربط المسلمين بعضهم ببعض، ليكونوا على قلب رجل واحد.

دروس وعبر:

أخي المسلم إنَّ هذا الحديث يعطي جُرعات مُركَّزة في أهمية الأخوة الإيمانية، وألا يقطعها تباين الآراء، أو تنافس القرناء، أو معاتبة الأخلاء، أو مؤامرات الأعداء.

هو دعوة إلى التعرف على أكبر عدد من الناس وخصوصا الصالحين لعلك أنْ تشفع لهم يوم القيامة أو لعلك تحتاج إلى شفاعتهم في ذلك اليوم العصيب.

فمن جملة ما سبق من أحاديث يمكن أنْ نستقي منها الدروس التالية:

أولا: أهمية التعرف على الصالحين، ومحبتهم، وصحبتهم، فهم القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم في الدنيا ولا في الآخرة، قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿فَمَا

لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ [الشعراء ١٠٠-١٠١] قال: يعلمون والله أنَّ الصديق إذا كان صالحا نفع، وأن الحميم (أي القريب) إذا كان صالحا شفع اهـ[١].

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]:

أُحِبُّ الصالحينَ ولستُ منهُم ... لعلي أنْ أنالَ بهم شفاعة

وأكرهُ مَنْ تجارتُه المعاصي ... ولو كُنا سواءً في البِضَاعة

ومما ذكره الإمام الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من فوائد الصحبة أنه قال: ومنها انتظار الشفاعة في الآخرة، فقد قال السلف: استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل في شفاعة أخيك اهـ[٣].

ثانيا: ضرورة مخالطة الناس والتعرف عليهم، والابتعاد عن العزلة إلا ما دعت إليه الحاجة؛ لأن المؤمن سيشفع لمن يعرف ولا تتم المعرفة إلا بمخالطة الناس، والمؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم.

ثالثا: الفرح بصلاح أحد أفراد الأسرة سواء كان الأب أو الأم أو أحد الأولاد أو البنات، والحذر من السخرية منه أو تخذيله عن اتباع الهدي النبوي فلعله يكون الشافع لأسرته يوم القيامة.

رابعا: الحذر من الوقوع في كبائر الذنوب، وضرورة المسارعة إلى التوبة من كل كبيرة تقع فيها، فلعل أولئك الساقطين في النار ارتكبوا بعض كبائر الذنوب،

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣١٧).

(٢) ديوان الشافعي جمعه محمد الزعبي (صفحة ٥٦).

(٣) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي (٢/ ١٥٥).

وماتوا ولم يتوبوا منها توبة نصوحا، كالتعامل بالربا وإسبال الثياب[١] والرياء في العمل[٢]، ومن المعلوم أنَّ الصلاة والصيام والجهاد لا تكفر سوى صغائر الذنوب على رأي لبعض أهل العلم، وأما كبائرها فلا تكفر إلا بالتوبة الصادقة[٣].

خامسا: إياك واحتقار الذنوب مهما دقت، وإياك والغرور بعملك الصالح، فتفكَّر في أولئك الناس الذين سقطوا من جنبات الصراط، ولكنهم هووا في النار بسبب ذنوب اقترفوها أو لعلهم احتقروها[٤]، وقد روى عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه**»[٥]، وفي رواية لسهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) يوجد العديد من كبائر الذنوب يستهين بها بعض الناس، للاستزادة من ذلك يراجع كتاب الكبائر وتبيين المحارم للذهبي، وكتاب كبائر الذنوب للهيتمي وكتاب تنوير البصيرة ببيان علامات الكبيرة لعبد الله ا الأنصاري ونحوها.

(٢) راجع الحاشية رقم (٤) لحديث أول ثلاثة من المسلمين تسعر بهم النار.

(٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**» [رواه أحمد -الفتح الرباني - (٢/ ١٩٨) في الصلاة باب في فضل الصلوات الخمس أنها مكفرة للذنوب، ومسلم واللفظ له (٢٣٣) في الطهارة باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، والترمذي (٢١٤) في الصلاة باب ما جاء في فضل الصلوات الخمس].
يرى بعض أهل العلم أن الصلوات تكفر جميع الذنوب حتى الكبائر استنادا للحديث: «**هل يبقى من درنه من شيء**». للاستزادة في هذا الموضوع راجع فتح الباري لابن حجر (٢/ ١٤) وتعليق الألباني في كتابه صحيح الترغيب والترهيب (صفحة ١٤٠).

(٤) خاصة أن بعض العلماء -كالبيهقي- يرى أن شفاعة المؤمنين إنما تكون في الصغائر، وأما الكبائر فيختص بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. راجع مبحث لمن ستكون شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الفصل الثاني من الباب الأول من هذا الكتاب.

(٥) رواه أحمد واللفظ له -الفتح الرباني- (١٩/ ٢٥٣) كتاب الكبائر باب ما جاء في الترهيب من احتقار الذنوب الصغيرة، والطبراني في الكبير (١٠٥٠٠)، وقال البنا في الفتح الرباني (١٩/ ٢٥٣): أورده الهيثمي وقال رواه أحمد والطبراني ورجالها رجال الصحيح غير عمران بن دوار القطان وقد وثق اهـ وقال الحافظ العراقي إسناده جيد وقال العلاني حديث جيد على=

أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا ببطن واد، فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود، حتى جمعوا ما أنضج خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يأخذها صاحبها تهلكه**»[(١)]. وروت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله عَزَّ وَجَلَّ طالبا**[(٢)]».

قال السندي في شرحه على سنن ابن ماجه في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**محقرات الذنوب**» أي ما لا يبالي المرء بها من الذنوب «**طالبا**» أي مكلفا فعرض عليه أنْ يطلبها فيكتبها، فهي عند الله تعالى عظيمة حيث خص لأجلها ملكا اهـ[(٣)].

ولقد ذكر الإمام الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ ستة أسباب مما تعظم به الصغائر من الذنوب وذكر منها: أنْ يستصغر العبد الذنب، فإن الذنب كلما استعظمه العبد في نفسه صغر عند الله تعالى[(٤)].

= شرط الشيخين وقال الحافظ سنده حسن اهـ كلام البنا في الفتح، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٨٧).

(١) رواه أحمد -الفتح الرباني- (١٩/ ٢٥٣) كتاب الكبائر باب ما جاء في الترهيب من احتقار الذنوب الصغيرة، والبيهقي في شعب الإيمان واللفظ له (٧٢٦٧) فصل في محقرات الذنوب، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٢٩١٦)، ووافقه المناوي في فيض القدير (٣/ ١٢٧)، والألباني في صحيح الجامع (٢٦٨٦).

(٢) رواه أحمد -الفتح الرباني- (١٩/ ٢٥٣) كتاب الكبائر باب ما جاء في الترهيب من احتقار الذنوب الصغيرة، وابن ماجه (٢/ ٥٦٠) في الزهد باب ذكر الذنوب، والبيهقي في الشعب (٧٢٦١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٥١٣).

(٣) شرح سنن ابن ماجه القزويني (٢/ ٥٦٠) للإمام أبي الحسن الحنفي المعروف بالسندي.

(٤) إحياء علوم الدين للغزالي بتصرف (٥/ ٣١).

وقال بلال بن سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ محذرًا مِنَ احتقار المعاصي: لا تنظر إلى صغر المعصية ولكن انظر إلى عظمة من عصيت[١].

سادسا: إيَّاك وانتهاك محارم الله في السر، واستشعر مراقبة الله عليك في كل حين لترقى إلى درجة الإحسان.

روى الصحابي الجليل ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حديثا عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقض مضاجع الصالحين، وجعلهم يخشون النفاق في قلوبهم، ويخافون كساد أعمالهم، فقال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات كجبال تهامة بيضاء، فيجعلها هباءً منثورا، فقال ثوبان: يا رسول الله، صفهم لنا، جَلِّهم لنا؛ أنْ لا نكون منهم ونحن لا نعلم قال: أمَا إنهم إخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خَلَوْا بمحارم الله انتهكوها**»[٢].

أقول فلعل أولئك الناس سقطوا في النار مع ما قَدَّمُوا من عمل جليل؛ لأنهم كانوا ينتهكون محارم الله في السر، فَعُذِّبوا في جهنم برهة من الزمن لا يعلم قدرها إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

سابعا: احذر غيبة العلماء وتجريح أهل المعروف وسائر الصالحين، ولا تظهر استعلائك عليهم وحاول قدر استطاعتك أنْ تخرج من الدنيا ولسانك وقلمك طاهران من أعراضهم، فلعل أحدهم يكون شافعا لك يوم القيامة وأنت

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٥/ ٤٣٠) باب معالجة كل ذنب بالتوبة، وكتاب الزهد لأحمد بن حنبل (صفحة ٣٨٤).

(٢) رواه ابن ماجه (٢/ ٥٦١) في الزهد باب ذكر الذنوب، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٤٢) رواته ثقات، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٠٥).

لا تدري، فما موقفك يا ترى حينذاك إذا شفع لك، وقد كنت تبغضه وتتصيد أخطاءه؟ وهو في المقابل كان يُكِّنُ لك الود والمحبة، قد نقَّى فؤاده وسريرته من أي صارف من صوارف الأخوة تجاهك! فإذا كان العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ نهوا عن ازدراء العصاة من الناس، أو التكبر عليهم، فكيف بأهل الصلاح والخير والمعروف وسائر العلماء والصالحين؟

جاء في وصية الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله: لا تستصغر أحدا فإن العاقبة مطوية، والعبد لا يدري بِمَ يُختم له، فإذا رأيت عاصيا فلا تَرَ نفسك عليه، فربما كان في علم الله أعلى منك مقاما، وأنت من الفاسقين، ويصير يشفع فيك يوم القيامة... الخ اهـ[١].

فتحلَّى أخي المسلم بأخلاق الصحابي الجليل الذي بشَّره النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة أَمام مَلاءٍ من الصحابة ثلاث مرات لسلامة صدره من الغلِّ على إخوانه المسلمين[٢].

---

(١) صفحات مشرقة من حياة السابقين صفحة (١٩٧).

(٢) عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَطلعُ الآن رجل من أهل الجنة**» فاطلع رجل من الأنصار ينطف لحيته ماء من وضوءه، متعلق نعليه في يده الشمال «، فلما كان من الغد قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يطلعُ عليكم الآن رجل من أهل الجنة**» فاطلع ذلك الرجل على مثال مرتبته الأولى، فلما كان من الغد قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**» فاطلع ذلك الرجل على مثل مرتبته الأولى، فلما قام رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتبعه عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال: إني غاضبت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاث ليال، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى يحل يميني فعلت، قال: نعم، قال أنس: فكان عبد الله ابن عمرو يحدث أنه بات معه ليلة أو ثلاث ليال فلم يره قام من الليل ساعة، غير أنه إذا انقلب إلى فراشه ذكر الله عَزَّوَجَلَّ وكبَّر حتى يقوم لصلاة الفجر فيسبغ الوضوء، قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرا، فلما مضت الثلاث الليالي كدت أحقر عمله، قلت: يا عبد الله إنه لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكني سمعت رسول =

سابعا: كن من المسارعين إلى الخيرات قدر المستطاع ولتكن هِمَّتك في الخير عالية، هل ترغب أنْ تكون في هذا الموقف الرهيب شافعا أو مشفوعا لك؟ فإن مِنَ المشفوع لهم من سيكونون في النار يعذبون، ينتظرون رحمة الله تعالى، ليشفع لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنه أول الشفعاء، وإن حرموا ذلك فإنهم سينتظرون من يعرفهم من إخوانهم وأقربائهم وأصدقائهم المؤمنين الذين نجوا من النار، فإياك والفتور عن الأعمال الصالحة، وكن مسارعا إلى الخيرات، فلعلك تكون من خيار الناس لتكون شافعا لا مشفوعا له بإذن الله تعالى، فشمر عن ساعد الجد نحو الأعمال الصالحة، ولا تحتقر نفسك واستعن بالله على ذلك.

أيها القارئ الكريم، ومع هذا الموقف الإيماني العجيب الذي تتجلَّى فيه أصدق وأنبل معاني الأخوة الإيمانية بين المؤمنين يوم القيامة، إلا أنَّ هناك طائفة من أولئك المؤمنين الناجين من الصراط، من ستسحب منهم صلاحيات الشفاعة لأحد، فتخيل ما شعور الواحد منهم، وأي همٍّ سينتابه، إذا رأى أحد

= الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لك ثلاث مرات في ثلاث مجالس: «**يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة**» فاطلعت أنت تلك الثلاث مرات، فأردت آوي اليك، فأنظر عملك فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت، فانصرفت عنه فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي غِلًا لأحد من المسلمين ولا أحسده على خير أعطاه الله إياه، قال عبد الله بن عمرو: وهذه التي بلغت بك وهي التي لا يطيق مطيق [رواه أحمد -الفتح الرباني- (١٩/ ٢٣٧) كتاب الكبائر وأنواع أخرى باب الترهيب من الحسد والبغضاء والغش، وابن السني في عمل اليوم والليلة رقم (٧٥٤) واللفظ له باب ما يقول إذا تعَّار من الليل.

وقال العراقي في تخريج الإحياء (٣/ ١٧٧): رواه أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين والبزار وسمى الرجل في رواية له سعدا وفيها ابن لهيعة، وقال الأرناؤوط في تخريج شرح السنة (١٣/ ١١٤) صحيح الإسناد].

معارفه من أهل، أو أرحام، أو أصدقاء في النار عياذا بالله من ذلك المئال، وهو لا يملك أنْ يشفع لأحد منهم، ويرى الناس من حوله يشفعون لمن يعرفون؟

فلماذا حُرِمَ هذا الصنف من أنْ يشفع لأحد؟ وما جرمهم يا ترى؟ هذا ما ستعرفه في الفقرة التالية.

المؤمنون الذين لا تقبل شفاعتهم:

تبين لنا أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سيكرم المؤمنين الذين اجتازوا الصراط بالشفاعة لمن يعرفون ممن هوى من إخوانهم في النار، وسيأذن لكل مؤمن منهم بالشفاعة للرجل والرجلين وأكثر من ذلك كل على قدر إيمانه وعمله الصالح، إلا إنه سيفاجئ صنف من أولئك المؤمنين أنهم سيمنعون من الشفاعة لمعارفهم بسبب معصية ارتكبوها في الدنيا، فما هي يا ترى؟

إنها معصية اللعن:

إنها معصية اللعن التي يستهين بها كثير من الناس ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فعن زيد بن أسلم قال: كان عبد الملك بن مروان يرسل إلى أم الدرداء فتبيت عند نسائه ويسألها عن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: فقام ليلة فدعا خادمه فأبطأت عليه فلعنها، فقالت: لا تلعن؛ فإن أبا الدرداء حدثني أنه سمع رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إنَّ اللعَّانين لا يكونون يوم القيامة شهداء ولا شفعاء**»[1]، وفي رواية لمسلم: أنَّ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يكون اللعَّانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة**».

(١) رواه أحمد واللفظ له -الفتح الرباني- (١٩/ ٣١٧) في المدح والذم باب ما جاء في النهي عن اللعن والترهيب منه، ومسلم (٢٥٩٨) في البر والصلة والآداب باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، وأبو داود (٤٨٨٦) في الآداب باب في اللعن.

إنَّ الذي يُعوِّد لسانه على لعن الناس سيحرمه الله جَلَّوَعَلَا من خصلتين شريفتين يوم القيامة إن كان من الناجين من الصراط:

أولا: أنَّه لا يشفع لأحد من إخوانه حين يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين استوجبوا النار.

ثانيا: أنَّه لا يشهد للأنبياء على تبليغ الدعوة لأممهم يوم القيامة؛ إذ أنَّ الكفار من تلك الأمم سينكرون أنَّ أنبياءهم قد بلغوهم رسالة الله ونصحوهم بعبادة الله جَلَّوَعَلَا، فَيُقَدِّمُ الله جل جلاله المؤمنين من أمة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ليدلُوا بشهادتهم للأنبياء على تبليغهم للرسالة، وتأديتهم للأمانة، وكفى بذلك حرمانا من هذا الشرف العظيم[1].

روى أبو سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «يُدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلَّغت؟ فيقول نعم، فيقال لأمته: هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلَّغ، ويكون الرسول عليكم شهيدا، فذلك قوله جل ذكره: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ

(١) قال النووي في شرحه على صحيح مسلم (١٦/ ٣٨٦): وأما قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنهم لا يكونون شفعاء ولا شهداء فمعناه لا يشفعون يوم القيامة حين يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين استوجبوا النار، ولا شهداء فيه ثلاثة أقوال: أصحها وأشهرها:

الأول: لا يكونون شهداء يوم القيامة على الأمم بتبليغ رسلهم إليهم الرسالات.

الثاني: لا يكونون شهداء في الدنيا أي لا يقبل شهادتهم لفسقهم.

الثالث: لا يرزقون الشهادة وهي القتل في سبيل الله اهـ.

أقول: وأما القول الثاني للإمام للنووي رَحِمَهُٱللَّهُ فأراه -والله تعالى أعلم- بعيد لأن الحديث يتحدث عن الشهادة يوم القيامة وليست التي في الدنيا.

وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾، والوسط: العدل» [البقرة:١٤٣][(١)]. وفي رواية له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يجيءُ النبيُ ومعه الرجلان، ويجيء النبي ومعه الثلاثة، وأكثر من ذلك وأقل، فيقال له: هل بلَّغت قومك؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه، فيقال: هل بلَّغكم؟ فيقولون: لا، فيقال من شهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فتدعى أمة محمد فيقال: هل بلَّغ هذا؟ فيقولون نعم، فيقال: وما عِلْمُكم بذلك؟ فيقولون: أخبرنا نبيُّنا بذلك أنَّ الرُسُلَ قد بلَّغوا، فصدَّقناه. قال: فذلكم قوله تعالى:** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾»[(٢)] [البقرة: ١٤٢].

---

(١) رواه البخاري في عدة مواضع منها كتاب التفسير باب قوله تعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾ رقم (٤٤٨٧) واللفظ له، وأحمد -الفتح الرباني- (١٨/ ٧٦) و(٢٠/ ٣٨) في أبواب التفسير وأسباب النزول وفضائل السور والآيات مرتبا ذلك على نظام السور، سورة البقرة وما جاء في فضلها ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾، وكتاب خلق العالم باب ذكر نبي الله نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾، وابن ماجه (٢/ ٥٧٣) في الزهد باب صفة أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والبيهقي في الشعب (٢٦٤) باب في حشر الناس بعدما يبعثون من قبورهم إلى الموقف الذي بُين لهم من الأرض.

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٥٨) ولم أجده في الفتح الرباني، وابن ماجه واللفظ له (٢/ ٥٧٣) في الزهد باب صفة أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٤٤٨) وقال: أخرجه ابن ماجه وأحمد عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد مرفوعا وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين وقد أخرجه البخاري والترمذي وأحمد وقال الترمذي حسن صحيح اهـ، وصححه أيضا في صحيح الجامع (٨٠٣٣) وقال: والنسائي والبيهقي.

إنَّ تلاعن المُسْلِمَين فيما بينهما، هو منتهى التدابر والتقاطع بينهما، وإنَّ اللعن عاقبته وخيمة، قد وردت أحاديث عديدة في ذَمِّه والتحذير منه، لذلك احفظ لسانك أخي المسلم من اللعن.

مما سبق يتضح أن من آفات اللعن الآتي:

١- أنَّ صاحبه يحرم من الشهادة للأنبياء بتبليغ الدعوة لأممهم.

٢- أنَّ صاحبه سيحرم من أنْ يشفع لأحد من المسلمين يوم القيامة.

٣- أنَّ لعن المؤمن كقتله في الإثم.

تَخيَّل أنَّ صديقك أخبرك وهو بأنَّه قَتَلَ نفسًا مسلمة، فما هو شعورك تجاهه؟ وكيف ستقوم بتخويفه من الجريمة النكراء التي وقع فيها؟ وما هو الأسلوب الذي ستتخذه معه ليبادر للتوبة النصوح؟ فإنْ علمت أنَّ مَنْ لعن مسلما كمن قَتَلَه، فهل سينتابك نفس الشعور السابق لو سمعت إنسانا يلعن أخاه المسلم؟

روى ثابت بن الضحاك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر فهو كقتله، ولعن المؤمن كقتله**»[(١)].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**لعن المؤمن كقتله**»؛ لأن القاتل يقطعه عن نعيم الآخرة ورحمة الله تعالى، وقيل معنى « لعن المؤمن كقتله « في الإثم وهذا أظهر اهـ[(٢)].

---

(١) رواه البخاري واللفظ له (٦٠٤٧) في الأدب باب ما ينهى عن السباب واللعن، ومسلم (١١٠) في الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وأن من قتل نفسه بشيء عُذب به في النار وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وأحمد -الفتح الرباني- (١٩/ ٣١٨) في المدح والذم باب ما جاء في النهي عن اللعن والترهيب منه، والطبراني في الكبير (١٨/ ١٩٣/ حـ٤٦٣).

(٢) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (١٦/ ٣٨٦) حديث رقم (١٧٦).

ولهذا كان سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: كنا إذا رأينا الرجل يلعن أخاه، رأينا أنه قد أتى بابا من الكبائر[١].

٤- أنه يرد على صاحبه:

فعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رجلا لعن الريح، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تلعنها؛ فإنها مأمورة مسخرة، وإنه من لعن شيئا ليس له بأهل رجعت عليه**»[٢].

إنَّ لعن الدابة أو السيارة يمحق بركتها، فعن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة لها، فضجرت فلعنتها، فسمع ذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة**» وفي رواية: «**لا تصحبنا ناقة ملعونة**» قال عمران: فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد[٣].

أقول فلعل هذا الحديث خاص وليس عام لأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تصحبنا ناقة ملعونة**» ونحن لا نعلم أنها ملعونة، وإنما الحديث للزجر من اللعن وتعظيما وتشنيعا لأمره، فلذا فإن من يلعن سيارته، أو ولده، أو الحاجة التي تعسرت على يديه، فإن الحال سيزداد سوءا وتضمحل منه البركة.

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٧٣) رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه وإسناد الأوسط جيد وفي إسناد الكبير ابن لهيعة وهو لين اهـ.

(٢) رواه ابو داود واللفظ له (٤٨٨٧) في الأدب باب في اللعن، والترمذي (٢٠٤٤) في البر باب ما جاء في اللعنة، وقال حديث حسن غريب لا نعلم أحدا أسنده إلا بشر بن عمر، وابن حبان، وصححه الأرناؤوط في تخريجه جامع الأصول لابن الأثير (١٠/ ٧٦٤)، والألباني في صحيح الترمذي (١٦١١) وفي صحيح أبي داود (٤١٠٢).

(٣) رواه مسلم (٢٥٩٥) في البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها.

ولقد وصل التحذير من اللعن، أننا نهينا عن لعن الإنسان بعينه ولو كان كافرا؛ لأن اللعن إذا صدر من الله جَلَّوَعَلَا، فهو الطرد من رحمته والعياذ بالله، وإذا صدر من الملائكة أو الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو من غيرهم فهو الدعاء بالطرد من رحمة الله، فعن سمرة بن جندب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بالنار**»(١).

مَنْ يجوز لنا لعنهم؟

نعم يجوز لعن أصحاب الأوصاف الملعونة على لسان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مثل آكل الربا، والسارق، والمصور، والمتشبه بالنساء، والظالم، والواصلة والموصولة وغير ذلك مما ذكر في السنة النبوية، ولكن دون تحديد أشخاص بأعينهم، ولو كانوا كفارا، وإن كان المندوب هو ترك اللعن بالكلية لحديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: قيل لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : دع الله على المشركين والعنهم، فقال: «**إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعَّانا**»(٢).

ولقد وصل الأمر فيمن انحرف عن الدين واستهان بالشتم واللعن أن بات لا يفقه ما يتلفظ به، فترى بعضهم يلعن الرب جَلَّوَعَلَا عما يقوله الظالمون علوا كبيرا، ويلعن الدين والملة والمذهب وإنا لله وإنا إليه راجعون، أو يكون سببا في لعن والديه، حيث روى عن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول

(١) رواه أحمد -الفتح الرباني- (١٩/ ٣١٧) في المدح والذم باب ما جاء في النهي عن اللعن والترهيب منه، وأبو داود (٤٨٨٥) في الأدب باب في اللعن، والترمذي (٢٠٤٢) في البر باب ما جاء في اللعنة وقال هذا حديث حسن صحيح، وصححه الأرناؤوط في تخريجه جامع الأصول لابن الأثير (١٠/ ٧٥٩)، والألباني في صحيح الجامع رقم (٧٤٤٣).

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٩) في البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها.

الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه**، قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: **يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه ويسب أمه**»[(١)].

فالمؤمن ليس بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء، هكذا قال لنا نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل وصل الأمر في التشديد بتطهير ألسنتنا من السب والشتم واللعن؛ أننا نهينا حتى عن سب الشيطان؛ لأنه ملعون في الأصل، وأن هذا السب لن يدفع عنا ضرره، ولا يغني عنا من عداوته شيئًا، وأن نكتفي بالاستعاذة منه، فقد روى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تسبوا الشيطان، وتعوذوا بالله من شره**» رواه أبو طاهر المخلص والديلمي وصححه الألباني.

لذلك جَفِّفْ لسانك من هذه الآفة المهلكة، ورطبه بذكر الله عَزَّوَجَلَّ واستغفاره وتمجيده والثناء عليه، تكن من المفلحين.

(١) رواه أحمد -الفتح الرباني- (١٩/ ٢١٦) كتاب الكبائر وأنواع أخرى باب الترهيب من عقوق الوالدين، والبخاري (٥٩٧٣) في الأدب باب لا يسب الرجل والديه، ومسلم (٩٠) في الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها، والترمذي (١٩٠٣) في البر باب ما جاء في عقوق الوالدين، وأبو داود (٥١٤١) في الأدب باب بر الوالدين.

المبحث الرابع

شفاعة أطفال المسلمين لوالديهم

أيها الأب، أيتها الأم، أيها الزوجان الكريمان: إنَّ موت الولد من أعظم الابتلاء، وهو نار تستعر في الفؤاد، وحرقة في الأكباد، ولهذا كان ثواب الصبر على ذلك جزيلا، وأجره في الميزان يوم القيامة ثقيلا.

أيها الزوجان الصابران: إنَّ المؤمن لا بد أنْ يُبتلى ويُفتن، قال الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت:٢]، وإذا أحب الله قوما ابتلاهم ليزيدهم رفعة ومكانة في الجنة.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ الرجل ليكون له المنزلةُ عند الله، فما يبلغها بعمل، فلا يزال الله يبتليه بما يكره، حتى يبلِّغه إياه**»[(١)]، فمن رضي على البلاء فله الرضا، ومن سخط فقد خسر الثواب وما استعاد ما فقد.

لذلك لا يسع المسلم إلا الصبر على المصيبة، والاسترجاع عند وقوعها، لينال ثلاث خصال وعد الله بها في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٦].

---

(١) رواه الحاكم (١/ ٣٤٤) وضعفه الذهبي في التلخيص، وابن حبان، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٩٢): رواه أبو يعلى وفي رواية له: «**يكون له عند الله المنزلة الرفيعة**» ورجاله ثقات اهـ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٦٢٥).

إنَّ من أهم الوسائل المعينة على الصبر عند المصيبة أمران:

أولا: الاعتقاد بأن الأجل أمر قد قدره الله تعالى قبل أن يخلق المولود ثم سجل عليه وهو في بطن أمه، حيث روى عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدثنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الصادق المصدوق قال: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات ويقال له اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة**»[(١)].

ثانيا: معرفة ما أعد الله لأهل المصائب من جزيل الثواب، فما من طاعة إلا وأجرها مقدر إلا الصبر، فإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب، وسأذكر طرفا من هذا الثواب فيما يتعلق بالشفاعة.

لهذا أزف لكما أيها الزوجان الصابران طَرَفًا من بعض الأحاديث الصحيحة، الواردة في شفاعة الوِلْدان لآبائهم، راجيا من الله تعالى أنْ يكون هذا معينا لكما على الرضا بما قدره الله لكما، وأن تجدا فيها الصبر والسلوان، ولتدركا أنَّ ذلك الابتلاء إنما هو درجة رفيعة في الجنة يريد الله تعالى أنْ يمنحكما إياها ويرفعكما إليها إذا صبرتما.

---

(١) رواه أحمد -الفتح الرباني- (١/ ١٢٨) في القدر باب في تقدير حال الإنسان وهو في بطن أمه، والبخاري واللفظ له (٣٢٠٨) في بدء الخلق باب ذكر الملائكة، ومسلم (٢٦٤٣) في القدر باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، والترمذي (٢١٣٧) في القدر باب ما جاء أن الأعمال بالخواتيم.

فعن شرحبيل بن الشُفْعَة عن بعض أصحاب النبي ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**يقال للولدان يوم القيامة: ادخلوا الجنة، فيقولون: يا رب حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا، قال: فيأتون، قال: فيقول الله عز وجل: ما لي أراهم مُحْبَنْطئين** (أي غاضبين أو ممتنعين)**، ادخلوا الجنة، قال: فيقولون: يا رب، آباؤنا وأمهاتنا، قال: فيقول أُدخلوا الجنة أنتم وآباؤكم**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما من مسلمين يموت بينهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهما الله بفضل رحمته إياهم الجنة، قال: يقال لهم ادخلوا الجنة، فيقولون: حتى يدخل آباؤنا، فيقال ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم**»(٢).

وروى معاوية بن قرة عن أبيه رضي الله عنه أنَّ رجلا كان يأتي النبي ﷺ ومعه ابن له، فقال له النبي ﷺ: «**أتحبه؟**» فقال: يا رسول الله، أحبك الله كما أحبه، ففقده النبي ﷺ، فقال: «**ما فعل ابن فلان؟**» قالوا: يا رسول الله، مات، فقال النبي ﷺ لأبيه: «**أما تحب أنْ لا تأتي بابا من أبواب الجنة إلا وجدته ينتظرك؟ فقال الرجل: يا رسول الله، أله خاصة أو لكلنا؟ قال بل لكلكم**»(٣).

---

(١) رواه أحمد -الفتح الرباني- (٢٤/ ١٨١) أبواب ذكر النار والجنة وما جاء فيهما باب ما جاء في أولاد المسلمين، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١١): رواه أحمد ورجاله ثقات.

(٢) رواه أحمد -الفتح الرباني- (١٩/ ١٤٣) في الصبر باب في الصبر على موت الأولاد وثواب ذلك، والنسائي (١٧٧٦) في الجنائز باب من يتوفى له ثلاثة، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٨٠).

(٣) رواه أحمد واللفظ له -الفتح الرباني- (١٩/ ١٤٤) في الصبر باب الصبر على الأولاد، والنسائي (٤/ ٢٣/ ح ١٨٦٩) في الجنائز باب الأمر بالاحتساب والصبر عند نزول المصيبة، والحاكم وصححه (١/ ٣٨٤) في الجنائز ووافقه الذهبي في التلخيص، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٠) وقال: رواه النسائي باختصار قول الرجل أله خاصة وأحمد ورجاله رجال الصحيح اهـ. وصححه الأرناؤوط في تخريجه جامع الأصول لابن الأثير (٩/ ٥٩٤).

وفي رواية أخرى له قال: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا جلس يجلس إليه نفر من أصحابه فيهم رجل له ابن صغير يأتيه من خلف ظهره فيقعده بين يديه، فهلك، فامتنع الرجل أنْ يحضر الحلقة لذكر ابنه، ففقده النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**مالي لا أرى فلانا؟**» قالوا: يا رسول الله بُنَيّه الذي رأيته هلك، فلقيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسأله عن بنيه، فأخبره أنه هلك، فعزَّاه عليه ثم قال: «**يا فلان أيما كان أحب إليك: أنْ تتمتع به عمرك أو لا تأتي إلى باب من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتح لك؟** قال: يا نبي الله، بل يسبقني إلى باب الجنة يفتحه لي لهو أحب إلي، قال: **فذلك لك**»[(١)].

وعن أبي حسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت لأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنه قد مات لي ابنان، فما أنت محدثي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: «**نعم صغارهم دعاميص**[(٢)] **الجنة يتلقى أحدهم أباه** – أو قال أبويه – **فيأخذ بثوبه** – أو قال بيده – **كما آخذ بصنفة ثوبك هذا فلا يتناهى** – أو قال فلا ينتهي – **حتى يدخله الله وإياه الجنة**»[(٣)].

(١) رواه النسائي (٤/ ٢٣/ ح ١٨٦٩) في الجنائز باب الأمر بالاحتساب والصبر عند نزول المصيبة، وباب التعزية (٤/ ١١٨/ ح ٢٠٨٧)، وصححه الأرناؤوط في تخريجه جامع الأصول لابن الأثير (٩/ ٥٩٤)، والألباني في صحيح الجامع رقم (٣٠٥٧).

(٢) ***ومعنى دعاميص الجنة:*** أي صغار أهلها وهو بفتح الدال المهملة جمع دعموص يضمها الصغير، وأصله دويبة صغيرة يضرب لونها إلى سواد تكون في الغدران لا تفارقها، شبه الطفل بها في الجنة لصغره وسرعة حركته لكثرة دخوله وخروجه، وقيل الدعموص: اسم الرجل الزوَّار للملوك الكثير الدخول عليهم والخروج، ولا يتوقف على إذن ولا يبالي أين يذهب من ديارهم: شبه طفل الجنة به لكثرة ذهابه في الجنة حيث شاء لا يمنع من أي مكان منها، قاله البنا في الفتح الرباني (١٩/ ١٤٤).

(٣) رواه أحمد-الفتح الرباني- (١٩/ ١٤٤) في الصبر، باب الصبر على موت الأولاد، ومسلم واللفظ له (٢٦٣٥) في البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه.

فانظر ـ رحمك الله ـ تعالى كيف يَتَصَبَّر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على أقدار الله، بموعود الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لهم، هكذا وصل بهم إيمانهم ويقينهم بالله، وهكذا الإيمان بالغيب يهذب النفوس ويُقوِّم المجتمعات.

هل يرضيكما ـ أيها الزوجان ـ بكفالة نبينا إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لولدكما المُتَوفَّى إلى أنْ تلقياه ينتظركما ليشفع لكما في دخول الجنة؟ فقد روى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أطفال المؤمنين في جبل في الجنة، يكفلهم إبراهيم وسارة، حتى يردهم إلى آبائهم يوم القيامة**»[(١)].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما تعدون الرقوب فيكم؟ قال: قلنا: الذي لا يولد له، قال: ليس ذاك بالرقوب، ولكنه الرجل الذي لم يقدم من ولده شيئا، قال: فما تعدون الصرعة فيكم؟ قال قلنا: الذي لا يصرعه الرجال، قال: ليس بذلك، ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب**»[(٢)]؛ أي: كأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعزِّي الذي لم يمت له ولد يتقدمه فيحتسبه يوم القيامة؛ ليستقبله على أبواب الجنة، ويشفع له في دخولها[(٣)].

(١) رواه أحمد -افتح الرباني- (٢٤/ ١٨٠) أبواب ذكر النار والجنة وما جاء فيهما، باب فيما جاء في أولاد المسلمين، والحاكم واللفظ له (١/ ٣٨٤) في الجنائز وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢١٩) وقال: رواه أحمد وفيه عبد الرحمن بن ثابت وثقه المديني وجماعة وضعفه ابن معين وغيره اهـ، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (١١٠٢) وسكت عنه المناوي في فيض القدير (١/ ٥٣٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٠٢٣).

(٢) رواه مسلم واللفظ له (٢٦٠٨) في البر والصلة والآداب باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب، وأبو يعلى.

(٣) ليس معنى هذا أن يدعو المسلم ربه عَزَّوَجَلَّ أو يتمنى أن يموت له بعض الأولاد ليحتسبهم، وإنما ينبغي عليه دائما أن يسأل الله تعالى العافية ولا يتمنى البلاء، ولكن إذا ابتُلي فليصبر؛ =

فيا بشرى للآباء والأمهات الذين صبروا على موت ولد من أولادهم، فليبشر أولئك بشفاعة هؤلاء الأولاد لهم يوم القيامة بإذن الله تعالى، ولا يحزنوا على فراقهم في الدنيا فإنهم في كفالة أبي الأنبياء إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسيكونون يوم القيامة في انتظارهم إنْ شاء الله تعالى على أبواب الجنان ليدخلوا معهم الجنة في بيت اسمه بيت الحمد، ذلك وعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فهلا نُصدِّق بمن لا ينطق عن الهوى؟

اعلم أنك سترى ولدك الذي دفنته بيدك إن شاء الله تعالى ماثل أمامك على باب من أبواب الجنة، بلحمه وشحمه، لم يتغير سنه، ولم يتغير شكله، يأبى دخول هذا النعيم حتى تدخل معه، هذه شفاعة الولد لأمه وأبيه إن صبرا واحتسبا فراق ولدهما سواء كان ابنا أو بنتا، أسأل الله المولى القدير أن يديم عليكما الصبر والسلوان ويخلف لكما خيرا منه.

= استنادا لما رواه عبد الله ابن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، وإذا لقيتموهم فاصبروا**» [رواه البخاري في الجهاد في عدة أبواب منها باب: لا تتمنوا لقاء العدو (٣٠٢٦) وكتاب التمني باب كراهية تمني لقاء العدو (٧٢٣٧) ، ومسلم (١٧٤١) في الجهاد باب كراهية تمني لقاء العدو، وأبو داود واللفظ له (٢٦١٤) في الجهاد باب كراهية تمني لقاء العدو].

الفصل الثالث

شفاعة بعض الأعمال الصالحة

توجد بعض الأحاديث التي تثبت شفاعة بعض الأعمال الصالحة لأصحابها المحافظين عليها، كمثل شفاعة الكعبة المشرفة والحجر الأسود والأمانة والرحم والجنة والنار، ونظرا لضعف أسانيد هذه الأحاديث اقتصرت على ما صححه أهل العلم، وهي شفاعة القرآن والصيام.

أولا: شفاعة القرآن لأصحابه:

اعلم بأن القرآن وبعض سور القرآن، مثل البقرة وآل عمران وتبارك، سيأتون ليشفعوا يوم القيامة لأصحابهم من المؤمنين الذين عملوا بالكتاب وأقاموا حدوده.

فعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه**»[(١)]، قال الملا علي القاري: معنى اقرأوا القرآن أي: اغتنموا قراءته، وداوموا على تلاوته[(٢)].

من صاحب القرآن؟

اختلف العلماء في معنى صاحب القرآن، هل هو حافظ القرآن أو هو الملازم له بالتلاوة من المصحف؟ قال العراقي: قال القاضي عياض: معنى صاحب

(١) رواه أحمد -الفتح الرباني- (١٨/ ٦٩) في أبواب التفسير وأسباب النزول وفضائل السور والآيات مرتبا ذلك على نظام السور، باب سورة البقرة وما جاء في فضلها، ومسلم واللفظ له (٨٠٤) في صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ٦٢٦).

القرآن أي الذي أَلِفَهُ، والمصاحبة: المؤالفة، ومنه صاحب فلان، وأصحاب الجنة وأصحاب النار، وأصحاب الحديث وأصحاب الرأي، وأصحاب الصُفَّة، وأصحاب إبل وغنم وصاحب كبر وصاحب عبادة اهـ.

وقوله الذي أَلِفَهُ يصدق بأن يَأْلف تلاوته في المصحف مع كونه غير حافظ له، ولكن الظاهر أنَّ المراد بصاحب القرآن حافظه، ويدل لذلك الزيادة التي أخرجها مسلم وغيره من حديث موسى بن عقبة «**وإذا لم يقم به نسيه**»(١) ولولا هذه الزيادة لأمكن دخول تلك الصورة في الحديث ما دام مستمرا على ذلك يُدْلِ لسانه به ويسهل عليه قراءته، فإذا هجر ذلك ثقل عليه وصار في القراءة عليه شاقا، وقد صرح أبو العباس القرطبي باعتبار الحفظ في ذلك، فقال: وصاحب القرآن هو الحافظ له والمشتغل به الملازم بتلاوته اهـ(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**نعم الشفيع القرآن لصاحبه يوم القيامة، يقول: يا رب أكرمه، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب زده، ارض عنه، فليس بعد رضا الله شيء**»(٣).

---

(١) عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال «**إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت**» وفي رواية زاد في حديث موسى بن عقبة «**وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره وإذا لم يقم به نسيه**» [رواه مسلم (٧٨٩) في صلاة المسافرين: باب الأمر بتعاهد القرآن وكراهة قول نسيت آية كذا وجواز قول أُنسيتها].

(٢) طرح التثريب في شرح التقريب للعراقي (٣/ ١٠١).

(٣) رواه الترمذي (٣٠٧٦) في أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر وقال هذا حديث حسن صحيح، والحاكم (٥٥٢/ ١) في كتاب فضائل القرآن وصححه ووافقه الذهبي في التلخيص، والدارمي موقوفا (٣٣١١) في فضائل الأعمال باب =

أخي القارئ الكريم: حاسب نفسك بنفسك، وتسائل بصدق: ما مكانة كتاب الله من قلبك ووقتك؟ هل تعتقد أنك من أصحاب القرآن؟ أو أنك من المقصرين والهاجرين له؟ فلو اعتبرنا القول الأيسر في صاحب القرآن أنه غير الحافظ، فإن المصاحبة لا تتأتى إلا بالملازمة، وهذه لا تتأتى إلا بالمودة والألفة مع القرآن، فيكون القرآن ملازمك في بيتك وسيارتك وفي خلوتك، ولا أقصد ذات المصحف، وإنما الإكثار من قراءته واستذكاره، فكيف لو كان الراجح من الأقوال أنَّ صاحب القرآن هو الحافظ له؟ وهو كذلك والعلم عند الله؟

إنَّ بعض الناس يَدَّعي أنه من أصحاب القرآن، ولو صَدَقَ مع نفسه، لعلم أنه لا يعرف القرآن سوى دقائق معدودة في المسجد قبيل بعض الصلوات أو يوم الجمعة أو في رمضان فقط، أو اكتفى بوضعه في سيارته، أو في غرفته، أو على مكتبه، تبركا به ليس إلا ذلك، بينما تجده يصاحب الملهيات ويسهر مع رفاقه على غير طاعةٍ الساعات الطوال كل يوم، فهل هذا هو صاحب القرآن حقيقة يا ترى! أو هو صاحب اللغو واللهو؟ فتنبه لذلك يا رعاك الله، ولا تخدعنَّ نفسك.

اعلم أنَّ من أعظم الشفعاء يوم القيامة على الإطلاق - فيما أعلم -: القرآن الكريم، لأنه إما أنْ يكون شافعا لك، أو شاهدا ضدك، فهو حجة لك أو عليك، ولا مناص من أحدهما، وأما باقي الشفعاء فإما أنْ تحظى بشفاعتهم أو تخسرها فقط، وأما القرآن فأشد من ذلك.

= فضل من قرأ القرآن، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٠٦) مرفوعا واللفظ له، والبيهقي في الشعب (١٩٩٦)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٣٢٨).

روى أبو مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها**»[(١)].

وروى عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « **القرآن شافع مُشَفَّع، وماحل** (أي خصم مجادل) **مُصَدَّق، فمن جعله إمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار**»[(٢)].

قال المناوي في فيض القدير: قال في الزاهر من شهد عليه القرآن بالتقصير فهو في النار اهـ[(٣)].

وقال أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنَّ هذا القرآن كائنٌ لكم أجرا، وكائنٌ عليكم وزرا، فاتبَّعوا القرآن، ولا يتَّبِعُكم القرآن؛ فإنه من اتَّبع القرآن هبط به على رياض الجنة، ومن تبعه القرآنُ زُخَّ في قفاه فقذفه في النار[(٤)].

---

(١) رواه أحمد -الفتح الرباني- (١٩/ ٢٧) كتاب الترغيب في صالح الأعمال باب الترغيب في خصال مجتمعة من أفضل أعمال البر والنهي عن ضدها، ومسلم (٢٢٣) في الطهارة باب فضل الوضوء، والترمذي (٣٥١٧) في الدعوات باب رقم (٩١)، والنسائي (٢٤٣٧) في الزكاة باب وجوب الزكاة، وابن ماجه (٢٨٠) في الطهارة وسننها باب الوضوء شطر الإيمان، والدارمي (٦٥٣) في الطهارة باب ما جاء في الطهور.

(٢) رواه الطبراني في الكبير من طريقين واللفظ له (٨٦٥٥) و(١٠٤٥٠)، والدارمي بلفظ آخر (٣٣٢٥)، وابن حبان، والبيهقي في الشعب (٢٠١٠)، وضعفه الوادعي في كتاب الشفاعة (صفحة ٢١١)، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريجه لجامع العلوم والحكم (٢/ ٢٧): رواه عبد الرزاق (٦٠١٠) ومن طريقه الطبراني في الكبير وإسناده صحيح اهـ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٤٣).

(٣) فيض القدير للمناوي (٤/ ٥٣٥).

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٥٧) وقال رواه شعبة عن زياد مثله.

وأما السُوَر التي صح عن النبي ﷺ أن لها شفاعات خاصة لأصحابها فهي كالتالي:

أ - سورتي البقرة وآل عمران:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرأوا الزهراوين: البقرة وآل عمران؛ فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو غيايتان، أو فرقان من الطير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة؛ فإن أخذها بركة وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة**»[(١)]. ومعنى البطلة أي السحرة، وقيل: البطَّالون وهم العاجزون، أي لا يستطيع حفظها العاجزون لطولها عن باقي السور.

ولسورة البقرة فضائل جمة، أُجملها فيما يلي:

- أنها تُحاج عن صاحبها يوم القيامة، وتشفع له كما جاء في الحديث السابق.

- أنها تطرد الشيطان من المنزل الذي تُتلى فيه، حيث روى أبو هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر؛ إنَّ الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**»[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه (ص؟؟؟).

(٢) رواه أحمد -الفتح الرباني- (١٨/ ٧٠) في أبواب التفسير وأبواب النزول وفضائل السور والآيات مرتبا ذلك على نظام السور، باب سورة البقرة وما جاء في فضلها، ومسلم واللفظ له (٧٨٠) في صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، والترمذي (٣٠٣٧) في ثواب القرآن باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي.

- أنها تحتوي على أعظم آية في كتاب الله هي آية الكرسي، التي تحفظ قارئها من الشيطان[١].

- أن خواتيمها تحوي على آيتين من قرأهما في ليلته كفتاه؛ وذلك لما رواه أبو مسعود عقبة بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاها**»[٢]، قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: معنى كفتاه أي كفتاه عن قيام الليل بالقرآن، وقيل أجزأتاه عن قراءة القرآن مطلقا، سواء كان داخل الصلاة أو خارجها، وقيل: كفتاه فيما يتعلق بالاعتقاد لما اشتملت عليه

---

(١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: وكلني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحفظ زكاة رمضان (أي زكاة الفطر)، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال إني محتاج وعليَّ عيال، ولي حاجة شديدة. قال فخليت عنه - فتكرر ذلك منه ثلاث أيام إلى أن قال - فقال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا أبا هر، ما فعل أسيرك البارحة؟**» قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني بها فخليت سبيله، قال: **ما هي؟** قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾، وقال لي لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح - وكان (أي الصحابة) أحرص الناس على الخير - فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أما إنه صَدقَكَ وهو كذوب! تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟**» قال لا، قال: ذلك شيطان. [«أخرجه البخاري (٢٣١١) تعليقا في الوكالة: باب إذا وكل رجل فترك الوكيل شيء فأجازه الموكل فهو جائز وإن أقرض إلى أجل مسمى جاز، قال ابن حجر في الفتح (٤/ ٥٦٩) وقد وصله النسائي والإسماعيلي وأبو نعيم من طرق].

(٢) رواه أحمد -الفتح الرباني- (١٨/ ٩٩) في أبواب التفسير وأسباب النزول وفضائل السور والآيات مرتبا ذلك على نظام السور باب ما جاء في فضل خواتيم سورة البقرة، والبخاري واللفظ له (٥٠٠٩) في فضائل القرآن في عدة مواضع منها: باب فضل سورة البقرة، وفي المغازي باب شهود الملائكة بدرا، ومسلم (٨٠٨) في صلاة المسافرين باب فضل فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، والترمذي (٣٠٤٣) في ثواب القرآن باب ما جاء في آخر سورة البقرة، وأبو داود (١٣٨٤) في أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيله باب تحزيب القرآن.

هاتان الآيتان من الإيمان والأعمال إجمالا، وقيل: كفتاه كل سوء، وقيل: شر الشيطان، ويحتمل الجميع، وفضل الله واسع اهـ[١].

ومن قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة ثلاثة أيام في بيته لا يدخله شيطان بإذن الله تعالى، حيث روى النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إنَّ الله تعالى كتب كتابا قبل أنْ يخلق السموات والأرض بألفي عام، منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، ولا يقرأن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان »[٢].

أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ خص قرابة ثلث السورة عن جرائم اليهود، فكشف عن خبثهم ومؤامراتهم، ومكابرتهم للحق، وقتلهم للأنبياء، ونقضهم للعهود والمواثيق حتى مع أنبيائهم، مما يكشف للمسلمين عن خطر هذه الشرذمة على العالم الإسلامي خاصة وعلى العالم أجمع عامة.

ب - سورة تبارك:

روى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي تبارك الذي بيده الملك**»[٣].

---

(١) فتح الباري بتصرف (٨/ ٦٧٣). وقال ابن حجر ـ بعد ذكر هذه الوجوه ـ : أن الوجه الأول ورد صريحا من طريق عاصم عن علقمة عن أبي مسعود رفعه: «**من قرأ خاتمة البقرة أجزأت عنه قيام ليلة**»، **وأما عن كفتاه شر الشيطان فللحديث «من قرأها في بيته ثلاث ليال لايقربه شيطان**»...الخ اهـ.

(٢) رواه الترمذي واللفظ له (٣٠٤٤) في ثواب القرآن باب ما جاء في آخر سورة البقرة وقال هذا حديث غريب، ورواه الحاكم (٥٦٢/ ١) في فضائل القرآن وصححه ووافقه الذهبي في للتلخيص، ورواه الطبراني في الكبير (٧١٤٦)، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير (١٧٦٤)، وضعفه المناوي في فيض القدير (٢/ ٢٤٨)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٣١٢) عن شداد بن أوس وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات، وصححه الأرناؤوط في تخريجه لجامع الأصول (٨/ ٤٧٤)، والألباني في صحيح الجامع (١٧٩٩).

(٣) رواه أحمد -الفتح الرباني- (١٨/ ٣١٥) في أبواب التفسير وأسباب النزول وفضائل =

وعنه أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن سورة من كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آية شفعت لرجل فأخرجته من النار وأدخلته الجنة**»[(١)].

وروى أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**سورة من القرآن ما هي إلا ثلاثون آية خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة؛ وهي: تبارك**»[(٢)].

كما أن من فضائل هذه السورة أنها تنجي صاحبها من عذاب القبر؛ حيث روى عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر**»[(٣)].

= السور والآيات مرتبا ذلك على نظام السور، باب سورة الملك وما جاء في فضلها، وأبو داود (١٣٨٧) في أبواب القرآن وتحزيبه وترتيله، باب في عدد الآي، والترمذي واللفظ له (٣٠٥٣) في ثواب القرآن باب ما جاء في سورة الملك وقال هذا حديث حسن، وابن ماجه (٢/ ٤١٧) في أبواب الأدب باب ثواب القرآن، والحاكم وصححه (٥٦٥/ ١) ووافقه الذهبي، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٢٢٧٩) ووافقه المناوي في فيض القدير (٢/ ٤٥٣)، والأرناؤوط في جامع الأصول (٨/ ٤٨٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٩١).

(١) رواه الحاكم وصححه (٢/ ٤٩٨) ووافقه الذهبي في التلخيص، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٩٢).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط والصغير، والضياء المقدسي، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٤٧٢٦) ووافقه المناوي في فيض القدير وقال: قال ابن حجر حديث صحيح فقد أخرج مسلم بهذا الإسناد حديثا آخر وأخرج البخاري به حديثين اهـ (٤/ ١١٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٤٤).

(٣) رواه الحاكم بلفظ آخر (٢/ ٤٩٨) وصححه ووافقه الذهبي في التلخيص، ورواه ابن مردويه، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير (٤٧٢٧)، ووافقه المناوي في فيض القدير (٤/ ١١٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٤٣).

أخي القارئ الكريم: إنها فرصة لمن خاف عذاب القبر، ولمن طمع في شفاعة القرآن، ورغب في وساطة، تكون له في يوم سيفر فيه المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، وفصيلته التي تؤويه، أنْ يحفظ هذه السورة الميسورة، التي لا تزيد آياتها على ثلاثين آية لينال شفاعتها، روى عكرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال لرجل: ألا أطرفك بحديث تفرح به؟ اقرأ تبارك الذي بيده الملك، احفظها، وعلمها ولدك وجيران بيتك؛ فإنها المنجية والمجادلة، تجادل وتخاصم يوم القيامة ربها، وتطلب إليه أنْ تنجيه من النار إذا كانت في جوفه، وينجي الله بها صاحبها من عذاب القبر اهـ[١].

وكان من حرص رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هذه السورة أنه كان يقرأها كل ليلة قبل أن ينام حيث روى جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان لا ينام حتى يقرأ: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ [السجدة] و ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾[٢].

فاحرص أخي المسلم على تلاوة القرآن الكريم وتدبره، والعمل بما فيه، بمعرفة تفسيره، واحذر هجره؛ لأنه حجة لك أو عليك لا مناص من ذلك ألبتة.

---

(١) رواه الحافظ ابن حجر في أماليه عن عكرمة وقال حسن غريب، ذكره المناوي في فيض القدير (٢/ ٤٥٣) وقال: صالح للاحتجاج حتى في غير الفضائل اهـ، وأورده البنا في الفتح الرباني (١٨/ ٣١٥).

(٢) رواه أحمد -الفتح الرباني- (١٤/ ٢٤٦) في أبواب آداب النوم وأذكاره باب ما يقرأ من القرآن عند النوم، والترمذي (٢٨٩٣) في فضائل القرآن باب ما جاء في فضل سورة الملك، والحاكم وصححه (٢/ ٤١٢) ووافقه الذهبي في التلخيص، والبخاري في الأدب المفرد (١٢٠٧)، وضعفه الأرناؤوط في تخريجه جامع الأصول لابن الأثير (٨/ ٤٩٥)، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٦٩٢١)، ووافقه الألباني في صحيح الجامع (٤٨٧٣).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، قال: وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول، أو غناء، أو لهو، أو كلام، أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه اهـ[١].

قال الضحَّاك: يأتي على الناس زمان تكثر فيه الأحاديث حتى يبقى المصحف عليه الغبار لا يُنظر إليه اهـ[٢].

إنَّ بعض الناس في هذا العصر جعلوا القرآن بَرَكةً لمنتدياتهم واجتماعاتهم، يُجملون به مكاتبهم ويضعونه في سياراتهم، فلم يقرأوه قراءة تدبر ولم يعملوا به، فلا شك أنَّ هذا من الهجر الذي يتمناه لنا أعداء الإسلام كي نكون غافلين عن كتاب ربنا الذي ما إنْ تمسَّكنا به لن نضل أبدا.

قال غلادستون أحد وزراء بريطانيا سابقا: ما دام هذا القرآن موجودا في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوربة السيطرة على الشرق[٣].

وقال الحاكم الفرنسي في الجزائر قبل استقلالها في ذكرى مرور مئة سنة على استعمار الجزائر: إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرأون القرآن ويتكلمون العربية، فيجب أنْ نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٨٥).
(٢) كتاب الزهد لأحمد بن حنبل (صفحة ٢١٣).
(٣) كتاب» قادة الغرب يقولون دمِّروا الإسلام أبيدوا أهله» لجلال العالم (صفحة ٤٠).
(٤) المصدر السابق.

فهل ترى من يبلغ هجره للقرآن هذا المبلغ أن يشفع له القرآن أم يكون حجة عليه؟

ثانيا: شفاعة الصيام:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفِّعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفِّعني فيه، قال: فيُشَفَّعان**»[(١)]. فاحرص على أنْ يكون صيامك لله إيمانا واحتسابا وليس عادة، ولا تبطله بالمفطرات الحسية والمعنوية، فلعله يكون لك نِعم الشفيع يوم القيام.

قال الملا علي القاري في شرح قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**فَيُشَفَّعان**»: بالتشديد مجهولا أي يقبل شفاعتهما، وهذا دليل على عظمتهما، ولعل شفاعة رمضان في محو السيئات وشفاعة القرآن في علو الدرجات اهـ[(٢)].

فاحرص أنْ تحوط صيامك بسياج من الطاعات ولا تخرقه بشهب السيئات، قال ابن المنكدر رَحِمَهُ اللَّهُ: الغيبة تخرق الصيام والاستغفار يُرَقِّعه، فمن استطاع منكم أنْ لا يأتي بصوم مُخَرَّقٍ فليفعل[(٣)].

---

(١) رواه أحمد واللفظ له -الفتح الرباني- (٩/ ٢١٦) في الصيام باب ما جاء في فضل الصيام مطلقا، والحاكم (١/ ٥٥٤) في فضائل القرآن، وقال البنا في الفتح الرباني (٩/ ٢١٦): أورده المنذري وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله محتج بهم في الصحيح، وابن أبي الدنيا في كتاب الجوع وغيره بإسناد حسن والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم اهـ، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٥٢٠٣)، وقال المناوي في فيض القدير (٤/ ٢٥٢): قال الهيثمي إسناده حسن وقال غيره فيه ابن لهيعة اهـ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٨٢).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ٤٥٣).

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (٢/ ١٣٩).

ثالثا: شفاعة الأمانة والرحم:

قال الطيبي: وإرسال الأمانة والرحم لعظم أمرهما وكبر موقعهما فيصوران شخصين على الصفة التي يريدها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومعناه: أنهما يقومان ليطلبا كل من يريد الجواز على الصراط بحقهما، فمن وفَّى بحقهما يعاوناه على الجواز على الصراط وإلا تركاه اهـ[(١)].

رابعا: شفاعة الجنة والنار:

ومن الشفعاء أيضا يوم القيامة: الجنة والنار؛ فإن الجنة تشفع لكل من سألها من الله، والنار تشفع لكل من استجار بالله منها، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره من النار**»[(٢)].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعا أنه قال: «**إن الرجل ليجر إلى النار فتنزوي وينقبض بعضها إلى بعض، فيقول الرحمن: مالك؟ فتقول إنه يستجير مني، فيقول: أرسلوا عبدي، وإن الرجل ليجر إلى النار فيقول: يا رب، ما كان هذا الظن بك، فيقول: فما كان ظنك؟ فيقول: أن تسعني رحمتك، فيقول أرسلوا عبدي، وإن الرجل ليجر إلى النار فتشهق إليه النار شهوق البغلة إلى الشعير وتزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف**»[(٣)].[(٤)].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى: الكاشف عن حقائق السنن (١٠/ ٢٣١).

(٢) رواه الترمذي (٢٦٩١) في صفة الجنة باب ما جاء في صفة أنهار الجنة، والنسائي (٨/ ٢٧٩/ حـ٥٥٣٦) في الاستعاذة باب الاستعاذة من حر النار، وابن ماجه (٢/ ٥٩٤) في آخر كتاب الزهد، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٠٧٩).

(٣) رواه ابن كثير في النهاية (٢/ ٥٤) وقال: إسناده صحيح.

(٤) والذي يؤيد أن الجنة والنار شافعتان إن شاء الله ما روي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أكثروا مسألة الله الجنة، واستعيذوا به من النار، فإنهما شافعتان مشفعتان،** =

فحري بك أخي المسلم أن تكثر مسألة الله الجنة والاستجارة من النار بصدق، وأن تجعل رؤياك لكل نعمة من نعم الدنيا معينا لك على تذكر نعيم الجنة الدائم بسؤال الله نعيمها، ومتى فعلت ذلك فزت بشفاعة الجنة لك، وضعف تعلق قلبك بالدنيا وهو مطلب محمود.

وكذلك أن تكثر استجارتك من النار، وأن تجعل اشتداد حرارة الجو في فصل الصيف معينا ومذكرا لك بحرارة نار جهنم، فتكثر الاستجارة من النار بدلا من سب الجو والتذمر منه كما يفعله كثير من الناس، فليكن فصل الصيف واشتداد الحرارة فيه وفصل الشتاء واشتداد البرودة فيه وسيلتان تقربانك من الله عَزَّوَجَلَّ بكثرة استجارتك من حر النار وزمهريرها، وكلما فعلت ذلك، شفعت لك النار عند ربها عَزَّوَجَلَّ أن يجيرك منها[1].

خامسا: شفاعة مجموعة من الأعمال لأصحابها.

هل هذه الأعمال تشفع لصاحبها؟ من التعريف المذكور في أول الكتاب يتبين أن هذه الأعمال غير داخله في الشَّفَاعَة؛ لأن العلماء اشترطوا في الشافع أن يكون طالبا للشفاعة ومحاجا عن صاحبه ومتكلما، وهذا لا يتحقق في هذه الأعمال الواردة في هذا الحديث وإن كان قد ذكرها بعض أهل العلم مثل ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه النهاية.

= **وأن العبد إذا أكثر مسألة الله الجنة قالت: يا رب عبدك هذا الذي سألنيك فأسكنه إياي، وتقول النار: يا رب عبدك هذا فلان الذي استعاذ بك مني فأعذه»** رواه أبو نعيم الأصبهاني في صفة الجنة رقم (٧٠)، والحسن بن سفيان كما في النهاية لابن كثير (٢/ ٢٩٧)، لكنه حديث ضعيف.

(١) راجع كتابي: كيف تستقبل فصل الصيف، وكتابي: كيف تستقبل فصل الشتاء (تحت الإصدار).

(أ) عن أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله: «ماذا ينجي العبد من النار؟» قال: «**الإيمان بالله**»، قلت: «يا رسول الله، إن مع الإيمان عملا»، قال: «**يرضخ** (أي يتصدق ولو بالقليل) **مما رزقه الله**»، قلت: «يا رسول الله، أرأيت إن كان فقيرا لا يجد ما يرضخ به؟» قال: «**يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر**»، قال: «قلت: يا رسول الله، أرأيت إن كان غنيا لا يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟»، قال: «**يصنع لأخرق**»، قلت: «أرأيت إن كان أخرق لا يستطيع أن يصنع شيئًا؟» قال: «**يعين مغلوبا**»، قال: «أرأيت إن كان ضعيفا لا يستطيع أن يعين مغلوبا؟» قال: «**ما تريد أن تترك في صاحبك من خير؟ يُمْسك عن أذى الناس**»، فقلت: «يا رسول الله، إذا فعل ذلك دخل الجنة؟» قال: «**ما من مسلم يفعل خصلة من هؤلاء إلا أَخَذَتْ بيده حتى تدخله الجنة**»[(١)].

(ب) ومن كان يدين الناس ويسامح، ونحو ذلك.

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٣٥) رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات اهـ، ورواه الحاكم (٦٣/ ١)، وقال صاحب كنز العمال (٤٣٥٥٢): رواه ابن حبان والروياني والطبراني والبيهقي وسعيد بن منصور اهـ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٨٦٩).

الخاتمة

تبين من هذا الموضوع المهم أنَّ من أراد نيل الشفاعة فلا بد أنْ يدخل سوقها الكبير ويشتريها بأعمال مخصوصة، تُهذب النفوس وتزكيها، حث عليها الشرع الحكيم، وأنَّ الشفاعة لا تنال بالأماني والأحلام.

فلنحرص على الأعمال الموجبة لشفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونستوصي بالأعمال التي تشفع لنا يوم القيامة، ولنحذر من الأعمال التي تحيل بيننا وبين الشفاعة؛ كي لا نكون من المحرومين أو الهالكين، عافانا الله وإياكم من ذلك.

اللهم إنا نرفع إليك أكف الضراعة، فافتح لدعائنا أبواب القبول والإنابة، واجعلنا من أهل الحوض والشفاعة، وآمن روعنا يوم تقوم الساعة، اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق؛ لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها؛ لا يصرف عنا سيئها إلا أنت، وصلى الله على سيدنا وشفيعنا يوم المحشر النبي المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الشنقيطي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٣هـ (١٠ مجلدات).

٢. إحياء علوم الدين: أبي حامد الغزالي-وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار للعراقي، دار الفكر العربي، (٥ مجلدات).

٣. البدور السافرة في أمور الآخرة: جلال الدين السيوطي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٤. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: أبي عبدالله القرطبي، دار الصحابة للتراث، طنطا، ١٤١٥هـ، (مجلدين).

٥. الترغيب والترهيب للمنذري: تعليق مصطفى محمد عمارة، دار الحديث، القاهرة، الطبعة، ١٤٠٧هـ، (٤ مجلدات).

٦. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ، (١٦ مجلدًا).

٧. الجامع لأحكام القرآن: أبي عبدالله القرطبي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ (١٢ مجلد مع الفهارس).

٨. الزهد: أحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٩. الزواجر عن اقتراف الكبائر: أبي العباس أحمد الهيتمي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

١٠. الشفاعة في الإسلام: عائش الحبشي، رسالة ماجستير غير منشورة عام ١٤٠٠هـ، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، السعودية.
١١. الشفاعة: مقبل بن هادي الوادعي، دار الأرقم، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
١٢. الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع مختصر شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني: أحمد بن عبد الرحمن البنا الشهير بالساعتي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٢ مجلد).
١٣. الكليات - معجم في المصطلحات والفروق اللغوية- أيوب الكفوي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ (٥ مجلدات).
١٤. المحاضرات السنية في شرح العقيدة الواسطية: محمد الصالح العثيمين، مكتبة طيبة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ (مجلدين)
١٥. المحرومون والمحرومات من نظر الله: مجدي فتحي السيد، مكتبة آل ياسر، الجيزة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
١٦. المستدرك على الصحيحين: محمد الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ (٥ مجلدات مع الفهارس).
١٧. المعجم الكبير للطبراني: تحقيق حمدي السلفي، دار احياء التراث العربي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ (٢٣ مجلد).
١٨. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي: الدكتور أ.ونسنك، دار الدعوة، تركيا، الطبعة الثانية ١٩٨٦م (٧ مجلدات).
١٩. المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصبهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة لبنان.

٢٠. المنهج الأسعد في ترتيب أحاديث مسند الإمام أحمد معه الفتح الرباني للساعاتي وشرح الحافظ أحمد شاكر: عبد الله ناصر حماني، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ (٤ مجلدات).
٢١. المنهل العذب المورود شرح سنن إمام أبي داود: مصطفى البيومي وأمين محمود الخطاب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ (٨ مجلدات مع الفهارس).
٢٢. الموطأ للإمام مالك بن أنس ﷺ. تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية.
٢٣. النهاية -كتاب الفتن والملاحم- ابن كثير، مؤسسة النور، الرياض، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ.
٢٤. النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت (٥ مجلدات).
٢٥. اليوم الآخر - القيامة الكبرى-: عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
٢٦. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: محمد المباركفوري، دار الفكر، بيروت، (١٠ مجلدات).
٢٧. ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير وزيادته: عوني الشريف وعلي عبد الحميد، مكتبة المعرفة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ (٤ مجلدات).
٢٨. تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، (٦ مجلدات).

٢٩. جامع الأصول في أحاديث الرسول: مجد الدين ابن الأثير الجزري، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ (١٣ مجلد مع الفهارس).
٣٠. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم: ابن رجب، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٣١. جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام: ابن قيم الجوزية، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
٣٢. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبي نعيم الأصبهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، (١١ مجلد مع الفهارس).
٣٣. دليل الفالحين لطريق رياض الصالحين: محمد الصديقي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ (٤ مجلدات).
٣٤. ديوان الإمام الشافعي: جمع محمد الزعبي، دار الجيل، بيروت ١٣٩١هـ.
٣٥. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض، ١٤١٢هـ.
٣٦. سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيء في الأمة: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض، ١٤٠٨هـ.
٣٧. سنن أبي داود بشرح عون المعبود: محمد شمس الدين آبادي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ (١٣ مجلد).
٣٨. سنن الدارمي. عبدالله الدارمي السمرقندي، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ (مجلدين).

٣٩. سنن النسائي بشرح جلال الدين السيوطي وحاشية السندي: تحقيق مكتب تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ (٥ مجلدات مع الفهارس).
٤٠. شرح السُنَّة: الحسين بن محمد البغوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ (١٦ مجلد مع الفهارس).
٤١. شرح العقيدة الطحاوية: لأبي جعفر الطحاوي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة السادسة ١٤٠٠هـ.
٤٢. شرح سنن ابن ماجه القزويني: أبي الحسن الحنفي المعروف بالسندي، دار الجميل، بيروت.
٤٣. شعب الإيمان. أحمد البيهقي: تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ (٩ مجلدات مع الفهارس).
٤٤. صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير): محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ (مجلدين).
٤٥. صحيح ابن ماجه: محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ (٣ مجلدات).
٤٦. صحيح الترغيب والترهيب: للحافظ المنذري، تحقيق محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
٤٧. صحيح سنن أبي داود: محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ (٣ مجلدات).

٤٨. صحيح سنن النسائي: محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ (٣ مجلدات).
٤٩. صحيح مسلم بشرح النووي: دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ (١٠ مجلدات).
٥٠. صفة الصفوة: لابن الجوزي، دار الصفا، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، (مجلدين).
٥١. صفحات مشرقة من حياة السابقين: نذير مكتبي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
٥٢. ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير): محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، (٣ مجلدات).
٥٣. طرح التثريب في شرح التقريب: عبدالرحيم العراقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (٤ مجلدات).
٥٤. طريق الهجرتين وباب السعادتين: ابن قيم الجوزية، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
٥٥. عالم الملائكة الأبرار: عمر الأشقر، دار الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
٥٦. عمل اليوم والليلة: ابن السِّني، مكتبة دار البيان، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
٥٧. عون المعبود شرح سنن أبي داود: أبي الطيب محمد آبادي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ (١٣ مجلد).
٥٨. فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري: ابن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ (١٣ مجلد).

٥٩. فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة، بيروت (٦ مجلدات).
٦٠. قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله. جلال العالم، دار الأرقم، عمان١٤٠١هـ.
٦١. كتاب التعريفات: علي الجرجاني، مكتبة لبنان، ١٩٧٨م.
٦٢. كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ: محمد بن إسحاق بن خزيمة، دراسة وتحقيق د. عبد العزيز الشهوان، دار الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ (مجلدين).
٦٣. كتاب السنة: أبي بكر بن أبي عاصم، ومعه ظلال السنة في تخريج السنة لمحمد الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.
٦٤. كتاب الكبائر وتبيين المحارم: محمد بن أحمد الذهبي، مكتبة دار التراث، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.
٦٥. كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: إسماعيل العجلوني الجراحي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ، (مجلدين).
٦٦. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ (١٨ مجلد بالفهارس).
٦٧. لسان العرب: لابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، (١٥ مجلد).
٦٨. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضيَّة في عقيدة الفرقة المرضية: محمد السفاريني، مكتبة أسامة، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

٦٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ (٨ مجلدات مع الفهارس).
٧٠. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم، المكتب التعليمي السعودي بالمغرب، الرباط، (٣٧ مجلد).
٧١. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المفاتيح. علي القاري، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ (١١ مجلد بالفهارس).
٧٢. مشكاة المصابيح: محمد بن عبد الله الحطيب التبريزي، تحقيق: محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ (٣ مجلدات).
٧٣. معارج القول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (في التوحيد): حافظ الحكمي، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ (٣ مجلدات).
٧٤. معجم مقاييس اللغة: أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، قم، إيران (٦ مجلدات).
٧٥. موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف: محمد السعيد بسوني زغلول، عالم التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ (١١ مجلد).
٧٦. نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي: محمد حسن عقيل موسى، دار الأندلس، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ (٣ مجلدات).

فهرس المحتويات

تقديم ٥

مقدمة ١١

أهمية الموضوع وسبب اختياره ١٢

خطة الكتاب ٢١

الباب الأول
شفاعات النبي ﷺ

الفصل الأول ٢٥

المبحث الأول: تعريف الشفاعة ٢٧

الشفاعة لغةً ٢٧

الشفاعة اصطلاحًا ٢٨

المبحث الثاني: شروط الشفاعة ٣٠

الشرط الأول: الإذن للشافع ٣٠

الشرط الثاني: الرضا عن الشافع ٣١

الشرط الثالث: الرضا عن المشفوع له ٣١

المبحث الثالث: موانع الشفاعة ٣٤

المحرومون من الشفاعة يوم القيامة من الكفار ٣٥

الفصل الثاني: شفاعات المصطفى ﷺ ٣٩

المبحث الأول: أنواع شفاعات المصطفى ﷺ ٤١

توطئة ٤١

المطلب الأول: الشفاعات التي يختص بها المصطفى ﷺ ٤٤
١ – الشفاعة لبدأ الحساب ٤٤
مَنْ هو أسعد الناس بهذه الشَّفَاعَة؟ ٥٠
٢ –الشفاعة لاستفتاح أبواب الجنان ٥٠
٣– الشفاعة لمن لا حساب عليه بدخول الجنة ٥٣
٤ – الشفاعة لأطفال المشركين بدخول الجنة ٥٧
٥ – الشفاعة لتخفيف العذاب عن بعض الكفار ٦١
المطلب الثاني: الشفاعات التي تكون له وتكون لغيره ﷺ ٦٢
١ – الشفاعة لأهل الكبائر ٦٢
٢ – الشفاعة لرفع درجات أهل الجنة ٦٤
المبحث الثاني: هل يُكره سؤال الله شفاعة النبي ﷺ؟ ٦٨
المبحث الثالث: لمن ستكون شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة؟ ٧١
الفصل الثالث: كيف تحظى بشفاعة المصطفى ﷺ؟ ٧٩
مقدمة ٨١
المبحث الأول: المُشَفَّعات القولية ٨٣
أولًا: سؤال الوسيلة لرسول الله ﷺ ٨٣
ثانيًا: الصلاة على النبي محمد ﷺ ٨٥
(أ) الصلاة المطلقة اللفظ ٨٦
(ب) الصلاة المقيدة اللفظ ٨٨
المبحث الثاني: المُشَفَّعَات الفعلية ٨٩
الإكثار من النوافل ٨٩
المبحث الثالث: المُشَفَّعات المكانية ٩٣
طلب الموت في المدينة المنورة ٩٣

الفصل الرابع: المسلمون المحرومون من شفاعة المصطفى ﷺ ٩٧
المبحث الأول: المسلمون المحرومون من شفاعة النبي محمد ﷺ ٩٩
١ – الكذب بالشَّفاعة ٩٩
٢ –الحاكم الظالم وكل غال في الدين مبتدع فيه..... ١٠٠
(أ) الحاكم الظالم..... ١٠٠
(ب) الغلو في الدين ١٠١
المبحث الثاني: هل هؤلاء محرومون من شفاعة المصطفى ﷺ..... ١٠٢
أولا: ذنوب تحرم أصحابها شفاعة النبي ﷺ..... ١٠٢
١ – الابتداع ١٠٢
٢ – إعانة الأمراء الظلمة على ظلمهم وأكل الحرام ١٠٣
٣– أخذ الغلول ١٠٤
٤ – الحلف بالله على عهد ثم نقضه، وبيع الحر، وعدم إعطاء الأجير أجره ١٠٦
٥ – فيمن أمَّنه أحد على دمه فقتله..... ١٠٧
٦ – ظُلم الذمي ١٠٧
٧– العاق والمنان والمكذب بالقدر ١٠٨
٨– الحلف كاذبا ومنع الماء عن الناس ١٠٨
٩ – الشيخ الزاني والملك الكذاب والفقير المستكبر ١٠٩
١٠ – عقوق الوالدين، وتشبه النساء بالرجال، والديوث، ومدمن خمر، والمنّ بالعطية... ١١٠
١١ – المرأة التي لا تشكر زوجها..... ١١٠
١٢ – الولاة الظلمة والنساء المترجلات..... ١١٠
١٣ – الإسبال مع المخيلة..... ١١١
١٤ – اللواط وإتيان الزوجة في الدبر..... ١١١

ثانيا: أحاديث الوعيد بغضب الله ١١١
١- أكل أموال الناس ظلما ١١٢
٢- العجب والخيلاء ١١٢
ثالثا: أحاديث الوعيد بعدم دخول الجنة ١١٢
١- الجواظ والجعظري ١١٣
٢- النمام ١١٣
٣- رد الحق واحتقار الناس ١١٣
٤- إيذاء الجار ١١٤
٥- تغيير النسب ١١٤
٦- قاطع الرحم ١١٤
٧- قتل المعاهد بغير حق ١١٤
٨- غش الحاكم لرعيته ١١٥

البَابُ الثَّانِي

الشفعاء يوم القيامة سوى رسول الله ﷺ

توطئة ١٢١
الفصل الأول: هل للملائكة عليهم السلام شفاعة؟ ١٢٣
الفصل الثاني: من الذي سيكرم بالشفاعة من الناس؟ ١٢٥
المبحث الأول: شفاعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ١٢٦
المبحث الثاني: شفاعة الشهداء ١٢٨
المبحث الثالث: شفاعة المؤمنين ١٣١
لمن سيشفع المؤمنون؟ ١٣٤
دروس وعبر ١٣٩

المؤمنون الذين لا تقبل شفاعتهم ١٤٦
إنها معصية اللعن ١٤٦
مَنْ يجوز لنا لعنهم؟ ١٥١
المبحث الرابع: شفاعة أطفال المسلمين لوالديهم ١٥٣
الفصل الثالث: شفاعة بعض الأعمال الصالحة ١٥٩
أولا: شفاعة القرآن لأصحابه ١٥٩
من صاحب القرآن؟ ١٥٩
السور التي لها شفاعات خاصَّة ١٦٣
أ- سورتي البقرة وآل عمران ١٦٣
ب- سورة تبارك ١٦٥
ثانيا: شفاعة الصيام ١٦٩
ثالثا: شفاعة الأمانة والرحم ١٧٠
رابعا: شفاعة الجنة والنار ١٧٠
خامسا: شفاعة مجموعة من الأعمال لأصحابها ١٧١
الخاتمة ١٧٣
الْمَرَاجِعْ ١٧٥
فهرس المحتويات ١٨٣

تم بحمد الله